



الكتاب العربي السعودي ٧١

عبدالله عبدالرحمن الجفري

حوار.. فى الحزن الدافئ

الطبعة الأولى
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
جدة - المملكة العربية السعودية



الكتاب العربي السعودي ٧١

عبدالله عبدالرحمن الجفري

حوار.. في الحزن الدافئ

الطبعة الأولى
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
جدة - المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

النـاشـر
تهـامـة
جـدة - المملكة العربية السعودية
ص.ب ٥٤٥٥ - هاتف ٦٤٤٤٤٤٤

حوار..

في

الحزن

الدافئ



هذا الحوار

● لازالت في ذهني عبارة قديمة حفظتها يوم كان الناس يمتلكون نعمة « الحفظ » .. تقول :

ـ ان نعرف .. تلك هي الخطوة الاولى التي يجب أن تتوفر لنا .. قبل أن نصدر أحكامنا على الآخرين ، وعلى الأشياء !!

والكاتب حينما يكتب .. من مسئوليته أن يعرف قبل أن يصدر أحكامه .

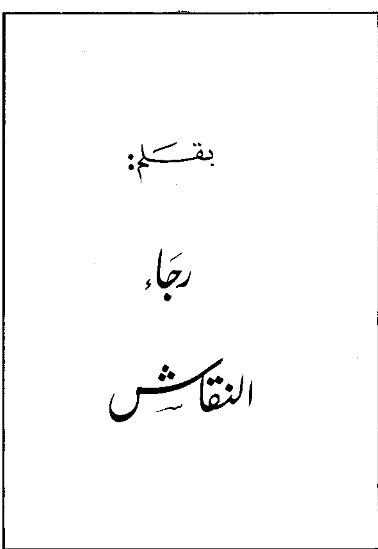
ولكن الرؤية في العالم اليوم قد تبدو مضطربة فلا تنصفه من نفسه ، ولا تنصف الناس منه .

لذلك فكرت أن أتجه نحو الإنسان من خلال الرؤى ، والظلال التي تعكسها نفسيته اليوم ، في قالب « الحوار » .. فأكتب صوراً ترتفع بالتأمل عن السقوط في المعرفة « العدم » التي ننساق اليها اليوم بمغريات المدنية ، وبادعاء الحضارة ..

ان « معرفتي » تقول : ان نبش أعماق الإنسان ليست مهمة سهلة ، ولكنني أحاول فيما سأصوره ـ بالحوار ـ أن اقترب من الإنسان !!

● عبد الله

مقدّمة







عرفت عبد الله جفري لأول مرة من خلال كتاباته في مجلة « أكتوبر » المصرية في أعدادها الأولى قبل أن تنقطع صلته بها ، لأسباب لامجال للحديث عنها هنا ، ومنذ القراءة الأولى لهذا الكاتب شعرت بميل نفسي عميق إلى كتاباته ، وحرصت على أن أعرف المزيد عنه وعن أدبه ، فقد كان في كتابته مايدعو إلى الحب والاعجاب .

إن عبد الله جفري كاتب له « شخصية » ، وقد تبدو هذه الملاحظة مثيرة للتساؤل : فهل هناك كاتب بلا شخصية ؟ ... وأقول : نعم ، ما أكثر هؤلاء الذين يكتبون دون أن يحددوا لأنفسهم شخصية واضحة ، فأنت تقرأ لهم وتشعر أنهم بلا ملامح وأنهم ضائعون في زحام الشخصيات الأدبية والفكرية الأخرى ، وكلما التقيت بهم وجدتهم يلبسون قناعا لكاتب مختلف ، فهم « عشرات الشخصيات » في وقت واحد ، ومن أصعب الأمور أن يحدد الكاتب لنفسه شخصية واحدة تجدها دائما أمامك في كل اللحظات ، في لحظة القوة ولحظة الضعف ، في لحظة النضج ولحظة البحث عن هذا النضج ، في الكتابة السياسية والكتابة الأدبية ، في الخطأ والصواب . وصعوبة تحديد الشخصية يعود إلى ضرورة توفر عناصر أساسية للكاتب ، فلا بد أن تجتمع الموهبة ، بالصدق الكامل مع النفس ، بالثقافة الدائمة التي بدونها يفقد الكاتب سرعة النبض ، وتتحول دورته الدموية الروحية إلى الحركة البطيئة وما ينتج عنها من برود وافتعال في كل ما يصدر عن قلم الكاتب بعد ذلك .

وقد توفرت لعبد الله جفري هذه العناصر الثلاث : الموهبة الحقيقية ، والصدق مع النفس ، والمحاولة المستمرة لبناء ثقافته وتجديدها ، ومن هنا استطاع أن يجعل لنفسه ككاتب له شخصية خاصة تعرفها حين تقرأ له بتوقيعه ، وتعرفها حين تقرأ له بغير توقيع ، فهو صاحب شخصية متميزة لا تختلط مع غيرها من الشخصيات .

على أن ظهور الملامح الواضحة المحددة لشخصية عبد الله جفري فيما يكتب لا يكفي في مجال التحليل النقدي الصحيح لشخصية الكاتب ، لأن ظهور الشخصية الواضحة للكاتب يكاد يكون أمرا بديهيا ينبغي أن يتوفر لكل كاتب له قيمة ، وبدون هذه الشخصية الواحدة المحددة يفقد الكاتب قارئه ويفقد قيمته الدائمة المستمرة .

وهنا نتساءل : ما هي ملامح عبد الله جفري ككاتب له شخصية ؟... إن محاولتي للإجابة عن هذا السؤال لاتعتمد على قراءتي العابرة له عندما التقيت بكتاباته لأول مرة منذ ما يقرب من ثماني سنوات ، بل تعتمد على قراءتي المتصلة له منذ عرفت قلمه خلال هذه السنوات وحتى اليوم .

شخصية عبد الله جفري الأدبية والفكرية تعتمد أول ما تعتمد على « الوضوح » فهي شخصية منبسطة لاتعقيد فيها ، تستطيع وأنت تقرأ له أن تعرف تماما أين تتفق معه وأين تختلف ، وتحس أنه يخاطبك بكل ما في قلبه وعقله دون أي خفاء أو التواء أو مكر أو دهاء ، وهذا الصفاء في العطاء ، وهو ما أسميه بالوضوح ، ليس مجرد ظاهرة في تعبير الكاتب وطريقته في كتابة جملته وتنظيم أفكاره ، بل هو « صفة نفسية » عميقة في شخصية الكاتب ، وهي صفة تشعرك دائما بأنه كاتب لايكذب عليك ولا يخدعك ، ولايستخدم الألاعيب والسحر في سبيل السيطرة عليك ، ولايسعى أبدا إلى وضعك في حالة « تنويم مغناطيسي » يعطيك بعدها ما يريد وأنت مسلوب الإرادة والعاطفة والفكر ، وما أكثر الكتاب المعاصرين الذين يخرجون على هذا الوضوح النفسي العميق ، فيضعون فاصلا روحيا عميقا بينهم وبين من يقرأونهم ، ويستخدمون سحر الألفاظ ، أو يستخدمون ما يحصلون عليه من ثقافة لكي يشعر القارئ أمامهم بالخوف والرهبة ، وبأنهم أعلى منه وأرقى وأكثر ذكاء وأكبر قدرة .

عبد الله الجفري يعطيك نفسه بسهولة ويسر ، ويدعوك إلى عالمه بغير افتعال أو تكلف ، فإذا كان بعض الكتاب يحصلون على الأعجاب وبعضهم يحصل على التقدير ، وبعضهم يحصل على الحب ، فإن عبد الله جفري من المحبوبين ، فقارئه يشعر معه بكل ما يشعر به المحب من الأمان والاطمئنان ومعرفة كل شيء حتى الخفايا ، بأبسط الأساليب وأكثرها وضوحا ونصاعة وصفاء وسهولة .

هذا الوضوح بمعناه النفسى العميق ، يقودنا إلى الصفة الأخرى التي تحدد شخصية عبد اللهْ جفري الفنية والفكرية وهى الصدق ، فالقارىء لايحس مع هذا الكاتب أبدا بأنه يكذب عليه ، أو يقول له ما لايعتقده ، أو يحاول أن يفرض عليه رأيه ، ومن هنا فعبد الله جفري ، يكتب بهدوء بعيدا عن أي صخب أو عنف ، وهو يهمس دائما ولا يصرخ ، ومهما كانت الموضوعات التي يعالجها حادة أو « ساخنة » فإنه يؤثر على الدوام أن يعبر عنها « بالحسنى » فلا تكاد تشعر بأنه « يحتد » أو « يشتد » أو يضرب بيديه على « الطاولة » التي أمامه أو « يخطب » بصوت عال وهو يمسك بقلمه . على الاطلاق .. إنه مثل الغدير النقي الصافي ، وليس مثل الشلال الهادر الذي يكتسح ما أمامه في اندفاع لايتيح لشيء أن يعترضه أو يقف في وجهه .

وفي كتابات عبد الله جفري تطلع دائم إلى المعرفة فهو يبحث ويقرأ ويناقش ويفتش هنا وهنا ، في النور والظلام ، وكأنه يحمل مصباح « ديو جين » الشهير بحثا عن الحقيقة ، وقد أشاع عبد الله جفري عن نفسه في حديث صحفي له « أنه لا يقرأ كثيرا » في هذه المرحلة من حيأته ، ولكن كتاباته تنفى هذه الشائعة وترد عليها ، ولعله أشاع ذلك لأنه مصاب بمرض « عدم الرضا عن النفس » وهو مرض يتعرض له كل الأدباء المخلصين الذين أصابتهم حرفة الصحافة ، فالصحافة تخلق في أعماق هؤلاء الأدباء إحساسا بأنهم ليسوا على مستوى الأحلام التي بدأوا بها حياتهم ، وهى في العادة أحلام ثقافية نهمة ، تريد لأصحابها أن يعرفوا الكثير ، وأن يقتربوا إلى أبعد الحدود من نار المعرفة ، التي اقترب منها « بروميثيوس » في الأساطير اليونانية ، حتى احترق بهذه النار أو احترق فيها .

فعبد الله جفري مندفع إلى القراءة والبحث بصورة تنعكس على كتاباته المليئة بقلق المعرفة القاسي العنيف ، وهذا النهم الذي عنده للمعرفة والقراءة كانت له انعكاسات واضحة في شخصيته ، وأهم هذه الانعكاسات هو أنه واحد من أبرز الأدباء السعوديين الذين انفتحوا في موضوعاتهم على العروبة والعالمية معا ، وخرج من الحدود الاقليمية الضيقة التي مازال عدد كبير من الأدباء السعوديين يحصرون أنفسهم فيها ، فعندما تقرأ عبد الله جفري قراءة دقيقة ، تحس أنه قد كسر « « الصدفة » المحلية ، فهو يعرف ما يجري في العالم العربي كله ويشارك فيه ويعبر عنه ، وليس لديه ـ عندما يكتب سواء تعمد ذلك أو لم يتعمده ـ أي إحساس بأنه يكتب للقارىء السعودي فقط ، فهو يكتب دائما

وعينه على المساحة الفكرية للوطن العربي كله من الخليج للمحيط ، وهذا سر من أسرار نجاح عبد الله جفري ، وسر من أسرار نجاح أى كاتب عربي في هذا العصر وهذا الجيل ، وأنا أشعر للأسف أن هذه نقطة غائبة عن عدد غير قليل من الكتاب والأدباء في السعودية . إنهم يكتبون وعينهم على القارىء السعودي وحده ، مما جعل صوتهم - على موهبتهم - خافتا خارج الجزيرة ، وجعل كتابتهم أشبه بدار كبيرة جميلة مغلقة النوافذ والستائر والأبواب ، فهى في داخلها تعانى من العتمة والهواء القليل .

ولا بأس من أن أستطرد هنا قليلا في الحديث عن هذه الملاحظة ، فأقول إن طبيعة الجزيرة العربية تاريخيا وحضاريا لاتسمح أبدا باغلاق النوافذ والأبواب فقبل الرسالة الإسلامية كانت الجزيرة العربية مماً للحضارات ، وكانت مفتوحة عن طريق التجارة لكل التيارات الوافدة من الحضارات الكبرى التي كانت قائمة في ذلك العصر : في فارس والهند ومصر والشام وبيزنطة . ولم يكن العربي في الجزيرة قادرا ولاراغبا في أن يعيش وراء أسوار تمنع عنه التأثر بالآخرين أو التأثير فيهم ، لم يكن العربي ، ابن الجزيرة ، من أصحاب الحضارات التي يمكن ان تنعزل وتغلق أبوابها الخاصة على نفسها ، كما حدث في بعض الحضارات القديمة مثل الحضارة الصينية ، التي كان لديها من الأسباب الكثيرة ما يساعدها على العزلة ويدفعها إليها . ولذلك فقد بنت الصين سورها العظيم ، لا من أجل الحماية العسكرية فقط وإنما من أجل الحماية الحضارية أيضا ، فقد كانت الصين مكتفية بنفسها وخائفة على نفسها معا ، فاختارت العزلة الحضارية في عالمها القديم . أما العربي فكان بحكم الظروف والتكوين محتاجا إلى الآخرين وراغبا في الاتصال بهم وتبادل الأخذ والعطاء معهم .

وعندما ظهرت الرسالة الاسلامية ، كانت منذ لحظاتها الأولى ذات طبيعة عالمية ، أى أنها لم تكن رسالة محلية خاصة بالجزيرة وحدها ، ولم تكن هذه الطبيعة العالمية للرسالة الاسلامية من الظواهر التي كشفت عن نفسها في مرحلة متأخرة ، بل كانت من الظواهر المبكرة التي صاحبت إعلان الرسالة ، فكانت رسائل النبي « ص » إلى الروم والفرس والمصريين والأحباش ، وقد كانوا في ذلك الحين هم أبرز القوى الموجودة على المسرح العالمي ، وبعد وفاة الرسول ، حمل العربي السلاح لينشر الرسالة الاسلامية في شتى أنحاء الأرض ، فانتشرت الدعوة والفتوحات في كل مكان .

هذه هى الطبيعة « الانفتاحية » للجزيرة العربية ، على « العالم » من حولها ، بل وعلى العالم كله أينما كان . ومن هنا لا أستطيع أن أفسر تفسيرا كافيا « انكماش » طائفة كبيرة من الأدباء السعوديين على أنفسهم مخالفين بذلك طبيعة مجتمعهم ، وطبيعة حضارتهم ، خاصة بعد أن استطاعت الرسالة الاسلامية أن توحد منطقة كبرى وحساسة من العالم هى ما نسميه الآن بالوطن العربي ، وحولها دائرة أخرى أوسع هى دائرة العالم الاسلامي الكبير .

في ظنى أن « الاكتفاء المادي » عند الأديب السعودي كان من العوامل الأساسية التي دفعته إلى الرضا بحالة « الأنكماش» وعدم التفكير في الانطلاق خارج النطاق المحلي بتفكيره وتعبيره ومشاركته الروحية ، وهذا خطأ كبير ، فالاكتفاء المادى ، في أي حياة ثقافية سليمة يدفع دائما إلى كسر « المحلية » والحرص على خلق دائرة أوسع في مجال التفكير والتعبير والتأثير .

***

أعود إلى عبد الله جفري بعد هذا الاستطراد الذي أرجو أن يكون موضع مناقشة ودراسة وتأمل ، لأقول إن عبد الله كان واحدا من أبرز الأدباء السعوديين الذي كسروا طوق المحلية وأدركوا أنهم عرب يكتبون للقارىء العربي في كل مكان ، مما جعل عالم عبد الله جفري مفتوحا ومضيئا ومليئا بالهواء النقي المتجدد ، والصداقات الأدبية الغنية .

وإذا تركنا عبد الله جفري « كحالة أدبية عامة » ومكررة في هذا الكتاب الذي بين أيدينا ، وجدنا أنفسنا أمام ظواهر أكثر خصوصية من كل ما سبق أن ذكرناه ، فلكل كاتب ناجح مدخله الخاص إلى قلب القارئ ، فهذا كاتب يدخل إليك من باب الفكرة الجديدة ، وهذا كاتب آخر يدخل إليك من باب الثقافة والمعلومات الغزيرة التي يملكها ، وهذا كاتب ثالث يدخل إليك من باب الأسلوب الجميل .

ومدخل عبد الله جفري إلى قلوبنا وعقولنا هو أجمل هذه المداخل جميعا .. إنه يدخل إلينا من باب : الشعر . ولست أدري إذا كان عبد الله جفري قد بدأ حياته شاعرا كما بدأ معظم الأدباء أم لا . ولكن الذي لاشك فيه عندي أنه يملك الفطرة الشعرية الجميلة فالروح الشعرية عنده واضحة في اهتمامه الذي لا افتعال فيه باختيار ألفاظ تقطر بالندى الشعري وفي حرصه على توفير جو من « الموسيقى الداخلية » لكتاباته حتى تبدو في معظمها وكأنها من « الشعر المنثور » .

إن عبد الله جفري يحمل قلما ، ولكن قلمه هو في نفس الوقت آلة موسيقية ، وما قرأت له مقالا قط ، حتى مقالاته الصحفية القصيرة ، إلا وشعرت بأن شيئا يهتز في قلبي ، من أثر الموجة العاطفية التي يثيرها الكاتب في القلب ، حتى وهو يتكلم عن أكثر الأشياء موضوعية ، أو أكثرها ارتباطا بالحياة السياسية أو الحياة اليومية . هناك دائما هزة عاطفية ، مثل الهزة الكهربائية ، يخلقها في النفس هذا الكاتب الحساس .

إن تكوين المقال ـ عند عبد الله جفري ، كما يشهد هذا الكتاب الذي بين يديك ـ يعتمد على الروح الشعرية ، أو على ما يمكن أن نسميه « بالغنائية » فهو لا يفكر فقط ولا يكتفي بتقديم آرائه ، وإنما هو إلى جانب ذلك كله « يتأمل » و« يعزف » تأملاته على وتر عاطفي محسوب ، وليس في هذا العزف مبالغة أو إفراط يسيئان دائما الى الأدب ، ويجعلان منه ما يسمى بالمصطلح المسرحي نوعا من « الميلودراما » التي هى « فن » التطرف والاسراف في الحزن والحرص على إسالة الدموع . ولقد كان لهذه « المليودراما الأدبية » عصرها ومجدها في ثقافتنا العربية في بدايات هذا القرن ، نجدها في نثر المنفلوطي الذي لم يكن يكتفي من قارئه باثارة دموعه ، بل لابد أن يظل وراءه : يؤلمه ويوجعه ، حتى يعوى ويولول ويصرخ ، وهنا يشعر المنفلوطى أنه أدى رسالة الكاتب وحقق هدف الفنان . كذلك نجد هذه « الميلودرامية الأدبية » على درجة أخف وأعذب في شعر « الشابى » الذي كان إذا تحدث عن الموت أو عن قلب الأم التي فقدت إبنها ، جمع كل ما في الكون من مظاهر الحزن واللوعة في الطبيعة أو حياة الإنسان ، ليجعل المأساة قائمة في كل ركن ومكان حول العين والقلب ، ومن هنا كانت قصائد الشابى تقطر أسى ، وتمطر حزنا ولوعة ، بصورة عنيفة حادة .

ولكن عبد الله جفري في شاعريته وغنائيته فنان عصري ، يمتلك ذلك « الانضباط العاطفي » الضروري لمنع عواطفه وأحاسيسه من التحول إلى « ميلودراما أدبية » لم يعد يحتملها الذوق العربي ، منذ نهايات عصر الرومانسية بعد الحرب العالمية الثانية . ولاشك أن عنصر « الانضباط العاطفي » من أثمن العناصر التي يمكن أن يملكها الكاتب أو الفنان ، والتي تعطي للكتابة والفن أثرا أعمق وأقوى وأكثر قدرة على البقاء ، ذلك لأن العاطفة الحادة غير المنضبطة تؤدي إلى الصراخ والاندفاع ، مما يفقد الكتابة أي قدرة على التأثير والاقناع .

وإذا كنا لانعلم هل بدأ عبد الله جفري حياته بالشعر أولا ، فان من الثابت أنه كاتب قصة يقف بين الطليعة من كتاب القصة البسعودية ، وإذا كانت الروح الشعرية التي يملكها ـ سواء كان قد كتب الشعر أو لم يكتبه ـ قد أكسبت كتاباته تلك الغنائية التي وفرت لهذه الكتابات إطارا عاطفيا رقيقا ، وجمالا في التعبير وخلفية موسيقية هادئة ، فقد اكتسب عبد الله جفري من « القصة » ذلك « البناء الفني » الواضح الذي يتوفر لكل مقال يكتبه ، فالمقال عند عبد الله الجفري « فن » ـ كما يشهد هذا الكتاب الذي بين يديك ـ وليس نوعا من البحث المجرد وطرح المعلومات المباشرة ، أو التعبير عن أفكار جافة خالية من الروح أو نضارة الحياة .

لقد سقط « فن المقال » في الأدب العربي المعاصر ، ولولا عدد من كتابنا الموهوبين ـ وبينهم عبد الله جفري ـ لأصبح المقال عندنا تعليقا صحفيا سريعا ، أو بحثا ودراسة « جافة » تعتمد على التقرير والمقدمات والنتائج والمعلومات مثلها في ذلك مثل بيانات وزارات الاقتصاد والشئون الاجتماعية والبترول .

لقد كان الجيل الماضي يدرك الأهمية القصوى لجعل المقال فنا له أصوله وله تركيبه الخاص وبناؤه المستقل ، وهذا ما نجده بدرجات متفاوته واساليب متغايره عند المازني والزيات وزكي مبارك وطه حسين والعقاد والرافعي ، حتى الذين كانوا يكتبون في مجال العلوم مثل أحمد زكي ، كانوا يدركون هذه الحقيقة ، فالمقال عندهم فن له « بناء » مثل القصيدة واللوحة والقطعة الموسيقية والقصة . ولقد كان هذا الحرص على « البناء الفني » للمقال عنصرا أساسيا عند كتاب هذا الجيل ، مما ضمن لهم التأثير الواسع والبقاء الطويل في جيلهم وبعد جيلهم ، وسوف يضمن لهم هذا البقاء أجيالا بعد أجيال .

ولكن المرحلة الراهنة في حياتنا الأدبية العربية ، شهدت « انهيارا » في « فن المقال » لاشك فيه ، فقد اندفع الكثيرون إلى الكتابة المباشرة التي تقوم على عرض الاراء والمعلومات المجردة الخالية من الروح ، ودخل دنيا الكتابة الأدبية من لايفرقون بين بحث في « الجغرافيا » وتأملات في النفس الانسانية ، وامتلأت الساحة بهؤلاء الذين يكتبون المقالات في شكل البيانات والتقارير الرسمية .

وهذه ظاهرة من الظواهر « السيئة » في الأدب العربي المعاصر ، لأنها تفقد الكثيرين من الكتاب أي قدرة على التأثير الفكري والنفسي والوجداني ... وبدون هذا التأثير

لايكون للأدب قيمته وجدواه .

وقد استطاع عبد الله جفري أن يدخل الميدان الأدبي معتمدا على هذا الفهم الصحيح لفن المقال ، فتجنب كل ما يجعل من مقالاته لونا من ألوان التقرير المباشر وحرص كل الحرص على أن يوفر لمقاله بناء فنيا يقوم أحيانا على الحوار ، ويقوم أحيانا أخر على تجسيد الأفكار في شخصيات محددة يعلن الكاتب من خلالها أراءه وأفكاره ، ويقوم مرة ثالثة على التعبير الشعري الغنائى ، الذي لا يغرق أبدا في الزخرف اللفظي المجرد ، ولا في العواطف الحادة الصارخة التي تسكت صوت العقل .

ولولا أن عبد الله جفري يميل إلى « الأسى والشجن » دون أن يمزج ذلك بلمسة من لمسات المرح والسخرية لقلت إنه امتداد في شخصيته الأدبية لشخصية من أبدع الشخصيات التي عرفها أدبنا الحديث وهى شخصية « المازني » فهناك كثير من ألوان التشابه في بناء المقال بين المازني وعبد الله جفري ، لولا أن المازني كان يميل رغم حزنه وأساه إلى السخرية والتهكم ، كما كان يميل إلى تعرية نفسه والبوح بأسرارها ، حتى لو كانت أسرارا لاتليق من وجهة نظر الفضائل المزيفة مثل « التكبر » و« التظاهر » وما إلى ذلك مما يخفي حقيقة النفوس ، ويعطي للناس صورة مختلفة ومغايرة للحقيقة ، .

وعبد الله جفري يختلف عن المازني في ابتعاده عن النظرة الساخرة للحياة ، وفي ميله إلى التأمل الذاتي ، وميله إلى عدم البوح وتعرية النفس ، ولعل ذلك يعود إلى تأثره بالبيئة المحافظة التي نشأ فيها .

ولا أدري إذا كان عبد الله جفري يدرك وجه الشبه بينه وبين المازنى أو لايدركه ، ولكنه لو أدرك هذا التشابه لحقق لنفسه خطوات أدبية أخرى تفوق ما حققه حتى الآن من تألق ونجاح وتأثير على القراء .

بقي أن نقول إن الكاتب مهما كانت قدرته الفنية على التعبير قوية وأصيلة ، فانه لايحقق شيئا له قيمة إذا لم تكن له افكار أساسية يدافع عنها ويؤمن بها ويدعو إليها . وفي هذا الكتاب الذي بين يديك نلتقي بعبد الله جفري الكاتب الفنان ، ونلتقي إلى جانب ذلك بعبد الله جفري صاحب النظرة الخاصة للحياة والانسان ، وهذه النظرة الخاصة من أثمن ما يحتاج إليه الكاتب لكي يقدم شيئا له قيمة وأثر ، وبدون هذه النظرة الخاصة يتحول الكاتب إلى رفيق عابر ثرثار قد يفيد في قتل وقت القارىء ، ولكنه لايضيف شيئا إلى نفس الانسان وعقله ووجدانه . وفي مجال النظرة الخاصة نلتقي في هذا

الكتاب بعبد الله جفري ، الداعية المؤمن إلى أبعد حد بأن يكون المنبع الأساسي في الحياة الصحيحة الراقية هو« الانسان » « وليس « الاشياء » ... الانسان بقلبه وعاطفته وعقله وآلمه وشجنه وأفراحه وصراعه مع تجارب الدنيا والأيام ، وليس « الأشياء » بما تملكه من بريق وإغراء بالامتلاك ، وهذه الأشياء في حقيقتها لاتكون ملكا للانسان ، بقدر ما تصبح مالكة للانسان .

ولم أقرأ في السنوات الأخيرة حملة أصدق ولا أنبل مما يقدمه هذا الكتاب الجديد من هجوم عنيف ضد امتلاك الأشياء للانسان ، ودفاعا صادقا عن سيادة الانسان بعواطفه وافكاره ومبادئه وقيمه ..

إن عبد الله جفري مع كل ماهو إنسانى ، مجسدا في عازف البيانو والشاعر وكاتب القصة وحارس الحديقة بما فيها من زهور وهواء نقي جميل ، وما تؤكده هذه الحديقة من ارتباط بالغ العمق والعذوبة بين الانسان والطبيعة .

إن الانسان الذي يتحدث عنه عبد الله جفري ويحلم به ويدعو إليه هو« الانسان الوجداني » على حد تعبيره .. إنه الانسان الذي ينظر إلى الحياة بوجدانه ويتعامل مع حقائق الواقع بهذا الوجدان .

ومن خلال صفحات هذا الكتاب وسطوره العذبة الجميلة ، نشعر أننا أمام كاتب فنان تعيش في خياله مدينة فاضلة ، هي مدينة القوة والصدق والاقبال على الحياة ورفض القوى الشيطانية المدمرة في روح الانسان وواقعه . كما أنها المدينة التي تقوم على « الحوار » وليس على الصراع الدموي العنيف .. وما أكثر ما يمتلىء به هذا الكتاب من محاورات وما أقل ما يفرضه عن غير طريق الحوار من رأي ووجهة نظر .

***

وبعد ... فهذه رحلة سريعة مع الكاتب والكتاب ، وأرجو ألا أكون قد أطلت فحرمت القارىء من الالتقاء بكاتبه الفنان في تأملاته الصادقة ، العذبة الجميلة ، وفي دعوته القوية إلى أن يصبح الانسان سيدا لكل الأشياء لا أن تصبح الأشياء قيدا على الانسان وعلى مافيه ـ إذا تحرر وانتصر ـ من ينابيع الخير والجمال .

رجاء النقاش





أول الحوار !





أول الحوار !

تتراكم الخفقات في صدور الناس وتهدأ .. كالحزن البارد في عمر الذين تحولت أشواقهم الى رخام ، وتطلعاتهم الى ذاكرة صدئة !

يصبح توالد الأشياء أكثر صعوبة من تأكيد الصدق ، ونقاء الفكر .
تكثفت الدهشة في وعي الإنسان حتى تحولت الى اعتياد محترق ..
في الأذهان الآن .. لم تعد الفكرة هي دهشة الاكتشاف ..
في الوجدان الآن .. لم تعد الروح هي الانبعاث الإنساني المتجدد .. الذي يصهر الشعور ، ويتألق بالمعاني الى ذوق العشق ، والتأمل للحياة بما تنميه أواصر الإنسان بالإنسان !

ذلك محور فكري تعيس .. قبل أن يكون معطيات عاطفة انسانية متألقة ..
ذلك يكون هو الصوت والصدى الذي يضيع في فلاة العمر ..
العالم لا يمارس العبث ، ولكنه يبتكره .. ثم يضيع فيه !!

ولقد حالوا أن يناقشوا أسباب غياب الفكر ، وانسحاق الابداع بالمعاني التي يطمح اليها الإنسان استشرافاً لحياة الفرح ..

فهل فقد الإنسان معطيات روحه ؟!
هل ترمدت تطلعاته .. فلم يعد قادرا على التطلع والتعبير ؟!
هل أصبحت الماديات وحدها هي التي تصب متاعبها في صدر الإنسان ، وفي ترجمة لغته ، وفي حضوره ؟!

وكيف تتحدد مشاعر الناس .. متجاوزة غربة الروح .. متفرقة على ألوان الارتطامات النفسية بسبب الانشغال المريع بالماديات ؟!

لقد اتحد الحزن في مشاعر رجال زحف العمر بهم الى الشيخوخة ، فالتقوا ذات مساء تحت سقف بيت ريفي : عازف بيانو ، وشاعر ، وكاتب قصة ، ورسام ، وممثل قديم في السينما ، وحارس متقاعد كان يعمل من بداية المساء حتى الصباح حارساً في حديقة « الهايدبارك » قبل أن يضاجعها العنف بالقنابل ، وعندما كانت ملتقى الحوار الديمقراطي .. فكان الحارس الذي يحافظ على العشب من عبث الواطئين عليه .

وابتدأ حوار غريب .. لكنه ممتع :

* * *

● قال عازف البيانو : كنت في عنفوان شبابي أدخل الى الصالونات الفخمة ، وبمثل ما ألحظه من ترف في الأثاث والديكور .. كان أيضاً هناك ترف ينضح من وجوه الذين اجتمعوا في الصالون .. كان التهذيب لمحة تطول في الانطباع .. حتى اذا بدأت العزف كان إصغاؤهم فنا يضاهي براعتي الفنية في العزف .. ذلك لأنهم يفهمون معنى أن يرتفع صوت « النغم » فيجذب اهتمامهم ويحلق بمشاعرهم ، فكأن كل أذن لحظتها هي (ريكوردر) يحتفظ بالقطعة الموسيقية ويعيدها لأنها غذاء روحه . أما اليوم .. فأنني لا أطيق هذا الصراخ الذي يسمونه موسيقى . ان الإنسان يجن .. تسمعه يغني كأنه يشتم أذنك ، ويوتر أعصابك ، وأصبحت الجملة الموسيقية لا أكثر من خناقة في منتصف حي « سوهو » !.. لقد أهدرت القيمة التي تعطيها الموسيقى لوجدان الإنسان !!

* * *

● وقال الشاعر : أشعر أن كلماتي تتوهج في الصدر كالجمر ، لكن .. لم يعد هناك من يسمعها .. من يشاركني احتراق الصدر .. ليس لأن كلماتي لم تعد تجذب اصغاء الناس ، وانما لأن آذانهم بعيدة جداً عن صدورهم ، ان الناس اليوم اهملوا الاصغاء الى الداخل .. وركزوا انصاتهم لكل ما يدور في خارجهم ومن حولهم . انني أقرأ لشعراء من الشباب ، فاحس أنهم يضاجعون الكلمة دون أن يعرفونها .. كأن الكلمة لا أكثر من « مومس » تهدئ غرائزهم فقط في حدة الانفعالات ، وقد كانت الكلمة هي فضيلة التفكير .. يهمس بها الشاعر فتلتئم جراح النفس . ان شعراء اليوم لا يبحثون عن التراث . لقد كنا نعتقد

بعد انتهاء الحرب العالمية ، وشبابنا في توجهه ، اننا نبتكر غرابة لا يرضى عنها جيل آبائنا ، وكنا نتطلع الى عدة حركات تجديدية استقلالية في التعبير ، وظهرت السريالية ، والدادائية ، والتكعيبية والمستقبلية . لكن ما نقرأه الآن هو « تصدع » في كل الحركات التجديدية ، وفي نفسية الجيل ذاته . انهم ينفلشون ، ثم لا يجمعهم عمق ، وانني اتلفت حولي فاستغرب ان لا يطلع من تحت ركام القلق العالمي ، ومن خلف التغرب النفسي شاعر مبدع يكسو الكلمة بمعنى من الحس ، ومن التجربة ، ومن الانصهار في أوجاع العالم ، حتى دواوين الشعر قليلة ، والصحف والمجلات المتخصصة تحاول ـ بركاكة ـ ان تصعد بموهبة جديدة .. ما تلبث أن تنطوي !

* * *

● **وقال كاتب القصة** : أعتقد اننا نجنح الى المغالاة قليلاً في التصور . فليس العالم كله من المجانين ، والمرضى ، والمذعورين من المفاجآت . صحيح ان أوربا ، وأمريكا يعاني جيلها من حدة الرفض للموروثات والتقليد ، ولكن هذه المواقف يستطيع الكاتب الفنان ان يعكسها . القصة مثلا من الممكن ان نعتبرها الان تعيش ازهى فترة « تحشيد » .. ذلك لان هذه الفترة التي نحياها تفيض رؤى وشواهد ، وتحتوي على « مادة » جيدة لكتابة القصة . قد تقولون : نحن لانختلف في هذا ولكننا نبحث عن كاتب القصة الجيد ، وسأجيبكم : بان القصة ربما كانت هى « الفن » المحفوظ الذي ما زال يتطور ، وينضج كتابا مبدعين . ان في العالم بعض الذين اجادوا في هذا الفن ، ولكن ربما تخلخلت الرؤية واهتزت عندهم لمظاهر العنف التي يتسم بها هذا العصر ، ودورهم هو ان يصوروا هذه المعاناة .

ولكن كيف ارتفع بالابداع . وانتج اكثر .. اذا كانت الصحف تدلل الكاتب السياسي وتمنحه مكافأة اكبر .. لان القراء يهمهم التحليل السياسي .. مفضلا على القصة ، او القصيدة . انهم بالضرورة يتلفتون الى اوجاع العالم ، والسياسة هي اليوم اكثر اوجاع الانسان في هذا الزخم الهائل من الكوارث والحروب . والتفكك الاجتماعي !!

* * *

● وقال الرسام : ما قاله كاتب القصة يدفعني لمزيد من الاصغاء . هناك موقف ارغب ان احدده ، وهو ملتصق بالقارئ ، او الباحث عن الفكر والفن .. ذلك هو « الانغماس » الغامر في جنون البحث عن حقيقة ، والركض وراء « الحدة » ذاتها ، واعطيكم مثالا : فانا ارسم لوحة لمنظر طبيعي يبقي معلقا على الحائط حتى يهن خيط الاطار .. بينما ارسم إمرأة عارية واطلب فيها المبلغ الذي افرضه . لا اقول ان هذا هو الجنوح عن طبيعة الانسان ، ولكنني ارى انه هو تفريغ اللذة من المعنى وحصرها في الممارسة الواقعية ، وربما كان وجه المرأة الذى رسمت قبيحا .. لكن الاثارة هي سمات العصر ، فاذا اردت توضيح شيىء ، او تعميمه فالوسيلة هي الاثارة .. ان تفضح ما تريد فيحدث الضجيج . بمعنى ان « الروح » في الانسان قد تبلدت حتى اصبحت لا اكثر من نبض وشرايين . ذلك يعنى ـ ايضا ـ ان الفنان نفسه قد سقط في فخ قاتل .. بانسياقه وراء المطالب المادية ، فاذا لم اقبض ثمن اللوحة ربما بقيت جائعا ، فلا بد ان ارسم ما تريده انفعالات الناس ، وربما ـ ايضا ـ ان الفنان في جيل ما قبلنا يحتمل فراغ جيبه ومعدته ولكن القسوة عليه ان يفرغ وجدانه من الحس ، ومن الاصرار على تنبيه الناس الى ما يحترق في أعماقهم !!

❋ ❋ ❋

● وقال ممثل السينما: اعتقد ان الهجوم لابد ان يتركز اغلبه على السينما .. فهي اقرب وسائل التوعية الى اذهان ومشاعر الناس . لقد مثلت ما ينوف على المائة فيلم .. سقط القليل منها ونجح الاكثر ، ولم يكن مرتكز افلامنا العرى كما نشاهد اليوم ، فلابد ان نخاطب عقول ووجدان الناس ، ولانخاطب غرائزهم بل نرتفع بها الى معنى الترابط الانساني . كما نمثل القصة العاطفية والتاريخية بنزاهة وباحساس .

الآن « يمارسون » خصوصيات الانسان علنا لمزيد من احتقار الانسان !

والا ... فهل ترضى اية امرأة ان تكون ـ فقط ـ متعة للغريزة .. هل هذا دورها الوحيد ؟!!

السينما تشير الى ذلك رغم سعي المرأة الحثيث الى ان تكون رئيسة الدولة ، ورئيس العمل ، ومع ذلك فانك تشاهد النساء في صالات عرض الافلام يقبلن على هذا التشويه لوظائفهن الانسانية . انني اشير الى فيلم « قصة حب » وكان متفوقا .. متحديا لكل موجات الجنس والتقليعات الان ، ونجح الفيلم .. لانه جاء هزة لضمير ووعي الانسان ،

وحاربوه لانه يفسد الحقيقة المادية البحتة . حتى الافلام التاريخية تبدو خاضعة للسياسة فتشوه التاريخ لان « الممول » للفيلم يقصد فكرة عقائدية . والشيىء الذي يدعو الى السخرية اكثر ان يحرص هؤلاء الذين يصنعون الافلام على اختيار انثى مثيرة للجنس بدل ان يختار قصة جيدة تعالج بعض ما يخذل تطلعات الانسان ويسحقه !!

***

● وتنهد حارس حديقة « الهايد بارك » المتقاعد ، وصمت قليلا ، ثم قال : يخيل الى انك تبعثون من قبوركم !... كأن هذا العصر ليس عصركم ، وانكم خارج الزمن . ان كل ما ناقشتموه يبقى ـ في كل الاحوال ـ مسئوليتكم ، فان العمل المبدع هو الذي يجذب اليه الاصغاء والتأمل والانتصار له .

لو ثابرتم على اعطاء مزيد من العمل الادبي والفني المبدع فانتم بذلك تحاربون كل هذه التشوهات . قبلنا جاءت اجيال مليئة بالاخطاء وبالتصدع .. وكان دور المفكرين والادباء والشعراء والفنانين عظيما ومؤثرا . اننـى رجـل اقـرب الى « الامية » اذا قورن تفكيري بتفكيركم .. لكن عملى كحارس لحديقة « هايد بارك » جعلني اقرا كثيرا في الكتب والصحف ، وفي وجوه الناس . هل اذكركم بمن سمّوه في امريكا بـ« المواطن توم بين » ؟!.. لقد جاء بعد صراع ، وتصدع .. بعد الحروب الاهلية ، وخلف « ابراهـام لنكولن » وبعد ازمة العبيد وتحريرهم ، اقسى زمن .. يفوق ما عانينا اثناء الحرب العالمية .. لكنه استطاع ان يؤثر في الناس باصراره وثقافته وبراعته في الحوار والاقناع ، واصبحت كلمات « توم بين » شمعة اضاءت للاجيال . هذا دوركم ، فلا بد ان يتعرض النـاس لهزات ، واذا كانت المادة هي السائدة الان ، فلان الماديين اذكياء ولان الفلوس ذكية ولكن الفكر والفن هما اذكى من المادةاذا نجحا في شق عقول الناس .. بمعنى أن كل جيل يأتي بملامحه ومتطلباته ، لكن الفكر والفن هما الوسيلة لصقل الانسان وتهذيبه .

لقد عملت حارسا في حديقة « هايد بارك » . وقبل ثلاثين عاما .. كنت افعل مثل هؤلاء الشباب ، ولكن بوعي ، وباعتبارات انسانية وعقلانية تصهرني كانسان . اننـى معكم ان السياسة احرقت صدور الشباب ، وزرعت فيها القلق ، والحيرة . مثلا: ترى في الشارع فتى وفتاة يتعانقان بوقاحة ، الحركة هي شيىء طبيعي ، ولكن ليس امام الناس .. فهذا زمن الوقاحة ، او زمن وقح .. وكيف ينجح الاديب والفنان في التوعية ؟!.. انني رجل

« امى » لااقدر ان اقول رأياً ناضجاً ، ولكن انتم من الممكن ان تقولوا في المعاناة لكل اشكال هذا العصر , اننى أرى اليوم شبابا متحمسا ومخطئا يخطب في وسط الحديقة ، ويدور الكلام كله عن السياسة ، لم اسمع واحدا يتحدث عن الانسان في مطحنة الحـروب والتصدع الاجتماعي ، ولكنهم جميعا يتحدثون بالخوف ، وبالتمرد المنسحق !!!

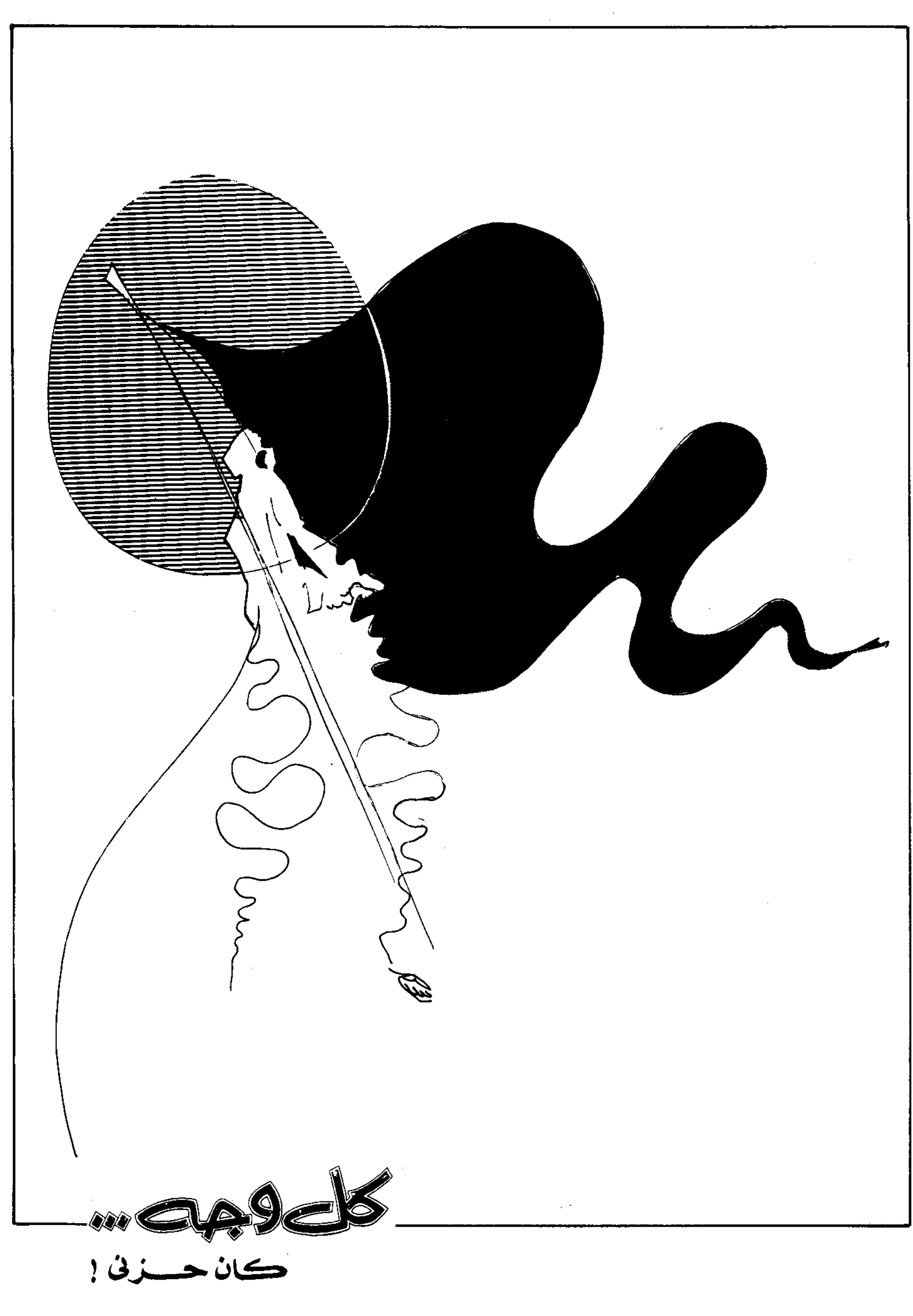
***

● قال عازف البيانو : لكن كيف اجذبهم ... كيف اقنع شاباً او فتاة ان تصغى الى مقطوعة « الدانوب الازرق » مثلا ، وتنصرف عن سماع « توم جونز »؟!.. ذلك هو العجز والحيرة . ربما كان الكاتب اكثرة قدرة ، ولكن الموسيقى اعمق واسرع تأثيرا ، ورغم ذلك لا اضمن النجاح الذي يعيد الانسان الى جوهره !!

واخلدوا جميعا للصمت .. الاحارس الحديقة الذي تطلع الى وجوههم مبتسما ، ثم قال :

ـ المشكلة هي غياب الاعمال الادبية والفنية الجيدة .. التي تتفوق على الماديات والفلوس . فاذا كان العالم يمارس العبث ، فان ممارسة العجز في الصمت .. اكثر خطورة على عقول وارواح الشباب !!

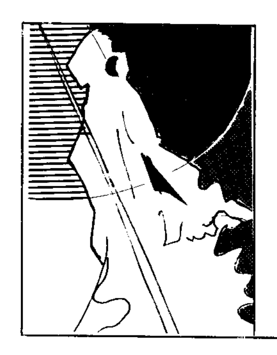
***



كل وجه...

كان حزني !





كل وجه...
كان حزني !

صعدت .. هبطت .. فعلت عكس ذلك ..
الذي نفعله لانحس به في اللحظة ذاتها .
نحن نبالغ في الأنفعال ونتأكسد في الاحساس !
الاهم في نتائج الافعال : ان تتمخض رؤية واضحة !
من أجل الاهم ـ وبحثا عن الرؤية ـ نحن فعلنا ذلك طيلة سنوات:
صعدنا .. هبطنا ، ولم نقدر ان نفعل العكس !
سنوات ثقيلة مرت . العيون لاتقول سوى الحزن . لاتعطي المجيىء ابدا .
تحولت دروب التاريخ الى حجارة نسيان !
تلونت صدور البشر ، وتحولت الى بيادر من بور .
انه الحزن العربي الكظيم !
كان الخوف منا علينا ... خوف من انسجام أحجام المعاناة مع اليأس الصارخ !
كان الخوف على التاريخ من خلال الارض المسلوبة والحرية المكبلة والحنين المفجوع !!
في لحظات الخوف .. يتحول الحب الى أكفان !
ولقد خطط اعداؤنا لذلك : ان يزرعوا الخوف في صدورنا .. ليقتلوا الحب ، ويوارونه داخل أكفان اليأس والذلة !

يتولد الخوف في الضعف .. استضعفونا فأولموا ليأكلونا .. يأكلوا أرضنا ، وعقيدتنا وتاريخنا وحوافزنا ، ونضارة وجداننا .

كانت الاصداء ترتفع مرددة: ياحبيبي .. أيها الوطن !

هل كان الحبيب غائبا .. أم أن الحب هو الذي غاب ؟!!

وما هو الوطن : الحبيب أم الحب ؟!!

الخوف لا يتمثل في غياب الحبيب .. فمادام « حبيبا » فلابد أن يعود ..

الخوف كله أن يغيب الحب ، فتفرى الاحقاد أكباد البشر ، وتضيع هوية الحبيب والمحب !

كنا في زمان .. ولانملك الزمان !!

كان الزمان يأخذ منا ولايعطينا . في امتداد ظله فقدنا مساحات جديدة من الأرض ، ومساحات غالية من الثقة داخل صدورنا .

ـ (كفى عن الذهول يا امرأة) !!

زجرة الصوت الاجش .. من حنجرة رجل ترك سلاحه فوق سيناء ، وفوق الجولان وعاد كسيحا تجرجره هزيمة حزيران الاسود !

ـ (إبعد نظراتك عن وجهى أيها الطفل) !

رجاء الأب المخذول ، وهو يهم بمداعبة طفله .. فيشعر بالشلل في وجدانه ، فقد كان كل أب .. كل رجل ، مصاباً بالشلل في عواطفه ومداركه بعد التقهقر الذي كان على الأرض المسلوبه !!

من يعيد ذلك التاريخ الغابر !!

من يوقف أصداء حوافر الخيل .. يوم كان اجدادنا وآباؤنا يصولون ويجولون في ساحات الحرب .. يرفعون راية الاسلام والعروبة فوق اعراف الخيول ؟!

من عيوبنا ـ ذات فترة ـ اننا جلسنا نسترجع امجادنا الغابرة ، والحاضر متوسط في الوقوف العاجز .. في الهزيمة المهينة !

من يعلم أيامنا التي نحياها كيف تتعود على اليقظة ؟!

لابد من معجزة ...

لابد من تحرر يشيل الخوف من الصدور ، والهلع من العيون ، وتجار السياسة والزعامة من الصفوف !

***

بعد هزيمة حزيران .. تلفت تاريخي كله . رأيت العصور المشهودة .. رأيت الوجوه ، فكان كل وجه هو حزني !!

بعد إجتياح الجنوب اللبناني ، ثم بيروت ، ومجزرة « صبرا وشاتيلا » :

الكآبة تسلقت صدور الرجال ، ومداركهم !!

الحزن يتكثف .. يمزق الليالي .. يعصر النجوم آهات ودموعاً !!

الارض .. من يصلح لها ؟!

الامسيات .. من يغنيها فيبعثها بالأناشيد ؟!

كانت الاذاعات تردد أغاني الحب المستباح والنازف والرطيء !!

الكلمات .. كانت حبلى بالقرف وبالفراق !!

الليلة الحزينة بعد هزيمة حزيران ، وخرس المدافع ، كان النضال آنذاك يتفتت تحت رحى التمزق !!

كل وجه .. كان حزني . لانه كان جرحي ، وهزيمتي ودمي ، واسئلتي المضرجة بالفجيعة !!

كنا لانقدر أن نفعل شيئا .. بعد أن فعلوا بنا كل شيء!

ومرة أخرى .. تلفت تاريخي المقهور نحو أول سفير اسرائيلي يجعل وسادته ظلم الانسان العربي ، وينام قريرا في داخل البيت العربي بعد أن ذبح له عربي من مصر كل الخرفان ، وأولم له فرحا بتثبيت القدس عاصمة اسرائيل للأبد !!

ولم تتبق كآبة ـ بعد هذا ـ في صدور الرجال ..

ذلك أن الصدور العربية ملأها الملح !

***

ياحبيبي .. أيها الوطن .. أيها الحب العربي : الهتاف الضائع في بيداء الفقد والغياب والالم .. والنداء الذي فقد حنجرته ، وتاه عن نطق رجوعه ... الوطن ، والعقيدة والشجاعة وانتظار السنين الطوال ترقبا ليوم التحرير واستعادة كل الاراضي المسلوبة !

أبلغ من الحب .. كان الايمان ..

النداء الذي تجدد .. ينطلق .. يتضخم ..يرتفع : يارب !!

أين كنا .. لماذا فرطنا في الايمان كل هذه السنين ؟!
من يُسكِنْ الامان بعد اليوم في صدورنا الملتاعة القلقة ؟!
الايمان يعيد الامان !!
كانت الدوامة تلف النضال ، والصدق ، والشجاعة ، والمقدرة .
دوامة التمزق ، والتفتت ، والتناحر ، والتنابذ ، وازدهار الشتائم ، فتفرق العالم العربي شيعا ، ومبادىء غريبة ومستوردة ، وشعارات كلامية .. تستفز الحقيقة ولاتقوى على الحياة !!
الامان .. كيف يعود ؟!
(واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا)
النداء ، الهاتف . الامان .. الايمان مطلب لاسترجاع جوهرنا .. لتحويل الهزيمة الى نصر .. لهزيمة الهزيمة !!

***

● سألوا الجندي المتقهقر من أرض المعركة : ما الذي هزمكم ؟!
ـ قال : الفرقة . الارتجال . الصعود والهبوط في المساحات المفرغة من كل شيىء !
● سألوا الارض المسلوبة : ما الذي أضاعك ؟!
ـ قالت : نسوني حينما كانوا يتذكرون أمجادهم الذاتية !!
● كل وجه .. كان حزنى !!!
على الوجوه .. تطوح الزمن وانكفأ .
على الوجوه .. تآكل الحب وتسوس ..
على الوجوه .. فقدان رهيب يفتش عن اليقين .. عن الحقيقة .. عن الايمان !!
الايمان يعيد الامان !!
ولم يكن « التوقيت » سهلا في اختياره . الاختيار كان حينما عاد الايمان . الانطلاق كان حينما حررنا نفوسنا من الخوف واليأس . اللحظة الخطيرة التي بدلت المواقف كلها فصنعت موقفا .. كانت لحظة الشعور بتغلغل الايمان ، وان لابديل له !!
● في يوم العاشر من رمضان .. ولد تاريخ جديد ..

سوف تصدقون هذه العبارة التي اكتبها بدموعى . قلتها وقدماى ثابتتان ـ ذات يوم ـ فوق ارض سيناء .. وحدقتا عيني تحولتا الى « البوم » يجمع صور الدبابات المحترقة المتناثرة التي خلفها العدو وراءه . كانت حشوده هائلة وكانت عزائم الرجال الذين تدفقوا لتحرير الارض اكثر هيولة ونفاذا .

● قال لى احد الجنود فوق خط بارليف المنهار : صدقني .. آمن بربك لقد كنت .. أحارب وأحس أن بجانبي مجموعة من السواعد المحاربة .. لا أراها ولكننى أشعر بها .. أرى فعاليتها في عيونى كأنهم جند الله من الملائكة يحاربون معى .

● وسألته : ما هو تفسير ذلك ؟!

ـ قال : الله نصرنا .. هو الذي أعاننا وثبت أقدامنا . كانت معداتهم بلا حصر وحشودهم بلا عدد ، ولكن في صدورنا ايمان وتسابق الى الشهادة . لقد انطلقت نحو الموت وأنا أضمن الحياة حتى لو تحقق استشهادي . شعرت أن الموقف قد تغير .اننى اقتحمت ميدان القتال لأحارب من أجل استعادة الارض ، وليس من أجل المناورة!!

وبعد العاشر من رمضان .

(يحتفلون به اليوم في أكتوبر) !

بعده فراغ كبير ..

وتفريغ أكبر!!

***

● صعدت .. صعدت . لا أقبل أن أهبط بعد ذلك !!

كل وجه كان حزنى .. ما زال !

واتطلع الى الوجوه اليوم .. كل وجه يصبح هو أغنيتى !

تغلبنا على الهزيمة .. فأعدنا الى وجوهنا بشرها ، وعشقها للحياة !!

أية مجزرة تتخثر الآن في الصدور ؟!

الحياة رصاص . وأزمات اقتصادية واخلاقية واجتماعية . الحياة لم تعد ملكا للأنسان ..

كل ما يملكه الأنسان هو الموت ..

الموت في المسافةالأقصر !!

***

●● ياحبيبى:

ايها الانتصار : يوم افترقنا كان يوم غياب الحبيب ، ومادام « حبيبنا » فلا بد أن يعود ولكن الحب لم يغب أبدا ، فمتى تعود أيها الانتصار .. لتعمر قلوبنا من جديد بالامل ؟!

يغيب الحبيب .. ولكن الحب لن يغيب !!

تلك هي الذكرى الاولى للعاشر من رمضان .. وأيضا لدخول سفير اسرائيل الى مصر !

وقوفاً نحن .. نترقب الذكرى الجديدة لعودة الحبيب .. لميلاد نصر جديد .. يصنع التحرير الكامل لكل ما ضاع وسرقوه !!

وقوفاً نحن .. لن نسقط أبدا !

***



وجهان..
فى الــــزحام





وجهان.. في الزحام

● الوجه الأول :

تبدل وجهه الحقيقي ..

تلك الابتسامة الصافية المقبلة على الحياة والاحياء .. تنغمر كل يوم في مزيد من الارهاق ، واللهاث والضنا ،

ذلك الوجه المعبر عن قيمة العمر في عمق الوشائج بين الناس ، وفي صدق الشعور لهم ومنهم .. يبدو الآن وجها مكفهراً .. أملس النظرة .. باهت الصدى . ردود الفعل في الصدى غريبة عن الافعال !!

كان يبدو كمن يتجرع شرابا مرا ، ولكنه مضطر الى تجرعه لئلا يقتله العطش ..
كان يشعر ان حصيلة تجربته مع من حوله من الناس تقنعه بالانسحاب وحده بعيداً ..
لعله بذلك يقدر على استرجاع وجهه الحقيقي ، وينجح في استعادة التعبير الى وجهه .. حتى اذا مات يوما ما .. وجد الناس وجهاً حقيقياً أفلت من التنكر والتلون !!

ولكن .. حتى الموت لا يعرف موعده .. تماما مثلما الصدق الذي أصبحنا لا نعرف موعد ظهوره على وجوه بعض الناس !!

فاما ان « تعايش » وجوه الناس المتقلبة سحناتها أناء الليل وأطراف النهار.. واما أن تعتزل الحركة في وسطهم .

وهو يصمت في هذه المعاناة . ويتردد ان يحاور أحدا ، فلا شيئ اصبح يعطيه للآخرين

الا هذه النظرة الملساء التي تزحلق كل المرئيات ، وتدفن كل المحسوسـات في أعماق نفسه !!

وانقضى وقت طويل .. كان لا يفتأ وهو يصرمه ان يلتزم البكم المتكلم في صمته ، ويقابل الكثير من القذائف الموجهة الى ابتسامته القديمة ووجهه المضطرب بالصبر والتبرير ان استطاع ..

كان يحاول في كل مرة أن يستخلص من معايشته وتأمله كل الأعذار لهـذا السياج البشري المتلون الصاخب . السارق والمسروق .. يقرح نفسه .. يحملها ، وينوء داخله بذلك الضنى المعذب !

ذات مرة .. حرك وجهه المستغرق في تأمل البحر أمامه ، وحادث نفسه :

ـ يبدو لي انك تحمل الحياة أكثر من ظروف كل عصر من عصورها ، وتطلب من الناس فيها أكثر من طبائعهم وأنانية رغائبهم ومصالحهم ، واذا صعّدت ذلك في نفسك فلا شك انك ستموت مبكراً ولا أحد يدري بك ؟!

ولم يزل وجهه يغذ السير على صفحة البحر .. وجاء صوته واهنا يقول .. يرد على نفسه :

ـ هل تعرف .. انني استغرب لهؤلاء الذين يفكرون في الانتحار أو يفعلونه ، فلا داعي لذلك أبداً .. اوليست الحياة بشكل هذا العصر الذي نعيشه هي الانتحار ؟! .. ولكنه انتحار بطيء لا يستطيع كل واحد أن يحتمل سلحفائيته !!

ـ ولكن .. لابد ان تعرف أيضاً ان الذين فكروا في الانتحار ليسوا هم اكثر الناس .. انهم قلة يئست من الأمل ، وفقدت الثقة في قدرتها هي على تغيير ظروف الحياة ، وحتى الذين فعلوا الانتحار ماذا جنوا .. ماذا حققوا بتعبيرهم العنيف هذا عن رفض بعض ظروف الحياة ؟! .. لا شيء ، فالمثل الشعبي يقول : كلام الناس ثلاثة ايام .. وبعد ذلك ينسى الناس ، أو انهم قد انشغلوا في رغائبهم وطموحهم ومشاكلهم !

ـ (اعرف ذلك .. ولكن فعلهم يحقق الصدمة المفاجئة والعنيفة في نفوس الناس الذين لابد ان يتساءلوا : لماذاأقدم فلان على ذلك ، واذا تراكمت الصدمات فعلت التغيير في نفوس الناس . ولو جاء هذا الفعل متأخرا ، وفي عصر آخر) .

ـ دعنى اناقش معك فعلا واحدا من اساليب التغيير في نفوس الناس .. مثلا : الفتاة

التي احرقت نفسها في الساحة العامة امام الناس احتجاجا على شيىء ترفضه .. كانت شابة جميلة ناضجة مرغوبة من كثير .. هل بامكانها عن طريق احراق نفسها ان تحقق ما تريده لغيرها ؟! اجزم لك ان الكثير قد مط بوزه شبرين استهجانا بفعلتها وقال : لم تفقد الا نفسها .. لماذا ؟... لانه لااحد يقدر ان يغير الان كل الذي يسرق الناس من صدقهم ومن عواطفهم ومن عقولهم ايضا .. فالسارق لهذه الجواهر في النفس الانسانية هو اكثر بشاعة وقوة وقدرة .. ان السارق هو العنف والماديات والنظرة الى الحياة على انها قيمة مال وليست قيمة معنى وروح !!

ـ نستطيع ان نعثر على وجه الحياة الحقيقي رغم كل ما وصفت .. ففي المقابل لهذه الصورة .. تجد هناك شعوبا تكافح المرض والجوع والاوبئة .. وتجد شعوبا تتصدى لقوة المستعمر والطامع ، وتجد شعوبا تحترم الحياة فتأخذ من ثروات ارضها لتطور حياتها ، واحسب ان خطط التنمية .. نظام اقتصادي حديث تنفذه الان بعض الدول بحرص على التطور والحياة .. فلا احد يرضى ان يموت في وقت مبكر والا فقد كان من الممكن ان يذوب الشعب الفلسطيني في فترة ما من فترات التاريخ .. عندما عرف ان سارق ارضه « الصهيونية » تدعمه القوى الكبرى في العالم ، وتمده باحدث واخطر الاسلحة ، وان « الصهيونية » قد نجحت تماما في تمزيق الشعب الفلسطيني اربا ، وقذف تلك المزق في كل انحاء العالم . فكيف يجتمع الفلسطينيون من جديد ، وكيف يقومون من موتهم احياء اشداء ، وكيف عرف العالم كله اليوم ان فلسطين الحقيقية سرقها اليهود . وطمسوا معالمها واحرقوا فيها المسجد الاقصى ، وبغوا ؟... ولو ان الشعب الفلسطيني عمد الى اسلوب تلك الفتاة التي احرقت نفسها .. فاحرق نفسه هو الاخر لاستراحت اسرائيل ونعمت بالامن المسروق .. لانه لا احد يطالبها بعد ما فعلت ، ولذلك فهي تحاول الان ان تنسف الكيان الجديد للفلسطينيين وتحرقه باساليب متعددة .. ابرزها العدوان والحروب وملاحقة الفدائيين فوق ارض لبنان ، والاردن وسوريا ، وحاولت ان تكسب ايضا جبهة مهمة من جبهات النضال والمقاومة ضدها فتوقع معاهدة سلام لتضمن حياد هذه الجبهة .

ـ لكننا لم نزل في مواجهة كثير من غيبيات مصير الأنسان ، وذلك الكثير لايشك أحد انه يحمل النذر ، ومازال انسان هذا العصر في انسياق وراء ماديات الحياة ، وفي مشاكله الذاتية ينسى وجدانه .. ويتناسى روحه واعماقه .. يسدر في متاهات يفرح بعطائها المؤقت

ولاينظر الى المستقبل . ان الكثير من الناس لايبوح ، ولكنه يصرخ أو يبكي أو يقهقه .. حتى ينقطع نفسه ، فمن يفكر في « البوح » ومن يحترمه ومن يفكر في الراحة النفسية قبل التفكير في رغائبه واحتياجاته المادية .. فمن هو الذي يصدق الآن مع نفسه ليقدر ان يصدق مع الناس ؟!

- لاتسخط على كل شيىء .. فالسخط عقاب المتوترين ، والتوتر لم يكن يوما دلالة على التفكير او مخاضا لفكرة ، لاتدفع عصرك ان يعقدك ولكن عليك ان تحاول فك عقد عصرك بالاقبال على الحياة بتفاؤل ، والخير لايمكن ان ينتهى ابدا .. حتى لو وجدته في صدر ناسك متعبد على راس جبل ، فهذا خير مازال موجودا ويستطيع ان يبلغ الناس . ان مشكلتك انك اعتقدت ان « الثقة » يستأهلها كل الناس ، وعليك قبل كل شيىء ان تزرع الثقة في نفسك .

وبدمعة تنحدر على وجنتيه ساخنة ، قال :

- دعني ابكى قليلا ، فهذا بوح يعز الان على كثير من الناس ممن جفت في ماقيه الدموع !

- هل فكرت الآن لماذا انت تبكى ، وهل تبكى على اناس لايحسون بك ، ام تبكى من اجل اناس تحس بهم ؟!

- ان من نبكى لاجلهم .. هم قيمة لا تهون في خلجاتنا وافئدتنا ،والدموع لاتسح من عيوننا بدوافع تفاهاتنا ومن اجل سقط الايام .. ان الدموع اغلى ما في الانسان ، وعندما جفت في مآقي البعض كان ذلك نذيرا يفقدنا لاصالة الانسان وجوهره !

- احيانا .. تجد الناس يظلمون بدافع الانصاف .. مثلما البعض يظلم بدافع الحب لنفسه !!

- ودمعى امام من احب ؟!

- ليس شرطا ان تكون دموعنا امام من نحب ، ولكن من الضروري ان تكون دموعنا من اجل من نحب .. انها تنصفك في اعماقهم الدفينة ، وستجلو نظرتك للناس اكثر ، فلا ترى الا الصفاء .. مهما كانت المسافة بعيدة !

- وهذا العالم من حولى .. انه يصيبنى بالتوتر ، وبالخوف وبفقدان الثقة في الحب !

- مرة قال - توم بين - : ان العالم قريتى ، وكان يعاني الكثير من الحرب الاهلية ومن

أغنياء الحرب ، ومن جهل الذين لم يبلغ نور العالم الى عقولهم وأفئدتهم ، ثم اصبحت قريته كبيرة .. كرة ارضية ، وحل السلام ، واندلعت حروب كثيرة ، وعاد السلام ثانية وظهرت امراض واوبئة واكتشفت مضادات لعلاج تلك الامراض ولافساد تلك الاوبئة وظهرت أمراض اخطر يحاول العلماء والاطباء القضاء عليها .. وهكذا الحياة بكل ما فيها من متناقضات ، اما الذي لم يتغير لانه الاصيل والاصل لعمار هذا الكون ، فارفع راسك اليه .. ترى السماء الرحبة الصافية .. ترى زخات المطر تغسل الارض ، وتسقى التربة وتغذي الزرع ، وترى الشمس في دوراتها المعهودة .. ترى القمر في جماله وبهائه .. وعندما ترفع راسك الى السماء وترى كل ذلك .. فتأكد ان هذه هي الحياة الحقيقية .. لانك بذلك ترى الايمان وتحسه !!



● الوجه الآخر:

● لم تبلغ به الحيرة مثل ذلك العنف الذي مار في داخله .. بل كانت اضخم .. حيرة مرهقة تفوق ما عاناه « آرثرميللر » فوق صفيح ساخن ، عندما كان يقدم على تجربة جديدة ، وكل تجربة في بدايتها تبدو غامضة او ان الانسان لايحاول الالتفاف حولها لئلا يفقد مفاجآتها .. مهما كانت تلك المفاجأة !

كانت امامه تجربة جديدة ، وكانت تتنازعه نوازع مختلفة تشده من كل جوانبه .. ان التجارب لاتضيع في قفلتها .. لاتجعل اصحابها يقولون : ليتنا لم نفعل ، فكل تجربة لابد أن تعطي انفتاحا جديدا على معرفة وجه من وجوه الحياة ومن وجوه الادراك ، ومن وجوه الناس ، وتخضع زمن الشخص منا للمقياس الذي تصنعه مجموعة التجارب تلك !!

كان يصغى الى كل الحيرة فيه .. لكنه يود تمزيقها ليرتاح ، حتى لو كانـت راحـة البلهاء ، او المجانين .

ولكنه كان يقول : ان هذه تجربة قاتمة قائمة ، ويتمنى ان يزيحها قبل استفحال اسبابها وتفاصيلها ، فهو ـ في معرفة الناس له ـ قد كان انسانا « وجدانيا » لايقحم نفسه في امور الناس ولايتطلع الى محاكاتهم في امر من امور ركضهم السريع اللاهث .. إنه شيىء قانع رغم ان النفس تامره احيانا ان يندس في زحام الناس ويفعل مايراد منهم !

وهو ليس مسالما الى درجة متناهية ، فهذه الصفة لاتنطبق عليه تماماً .. بقدر ما هو ينجذب الى طبيعة الانسان الذي يقول لك في كل فكرة وعمل وموضوع :

ـ خلينا بعيد .. بعيد اسلم !

لكن أنفه مشكلة .. ان له انفا يتورم كل يوم .. يكاد لايرى غير انفه ! واحساسه

بالتجربة القادمة دفعه ان يحاول القضاء على الحيرة التي عنكبت في داخله ، فاذا تخلص من الحيرة ـ يقول هو : تمكنت ان افكر ، واذا فكرت لابد ان اصل الى حلول ونتائج !

ولكن .. ما هي حيرته ؟!

ثم .. ما هي تجربته ؟!

واين وصلت به النتائج ؟!

اما حيرته .. فقد لاتختلف كثيرا عن كل ما يعانيه الاخرون في حياتهم العادية ، والتي لابد ان تربط وثاقها جيدا بالمستقبل . فلديه مشاكل تغرق في نفسه حتى تتحول الى حيرة ويفكر فيها الى درجة الصداع .

يحتار كثيرا : كيف يستطيع ان يوفر مبلغا كبيرا من مرتب ضئيل وتافه .. لتأكل امه وهو واخته التى تصغره بعامين ، ويحيا في المتوسط كما اغلب الناس ؟!

يحتار كثيرا : كيف يجمع من مرتبه الضئيل ذاك مبلغا يرضى به الرجل الذي سيختار ابنته زوجة له ، وهو جاد في فكرة الزواج لانه يرتاح كثيرا كلما مرت شهور واكتشف انه مازال هو ذلك الشاب المستقيم ، ومن الضروري ان يدعم تلك الاستقامة بزوجة تغنيه عن لحظة السقوط في المحظور ، فمن اين له المهر وتكاليف الشبكة والزفاف وتأثيث البيت ؟!

يحتار كثيرا : كيف يسلك الطريق الذي سلكه من قبله من اصبحت لديه ارض وفيلا ، وديكور في الفيلا ، ثم توفير وتحصيل وانماء حتى يصبح صاحب ثروة !!

اما تجربته القادمة .. فيسأل نفسه : هل استطيع ؟!

لقد كان له سعي يوما ما .. عندما استطاع في موسم الحج قبل عامين ان يأخذ اجازة من عمله الحكومي ، ويعمل سائقا لاحد اتوبيسات نقل الحجاج ، يعمل ايضا ما يمكنه منه الوقت في خدمة الحجاج ، ووجد بعد الحج انه جمع مالا لابأس به .. وبذلك المال الذي وفره من سهر الليل ، والركض تحت الشمس وفي الصحراء استطاع ان يشتري له قطعة ارض صغيرة .. وراح يجري الى صندوق التنمية ليحقق ما كان جزءا من حيرته ... وهو في هذا السعي لبناء الفيلا حاول ان يقترض من الاخرين ليبنى عشه ، وتراكمت عليه الديون .

في البيت .. امه تملأ اذنيه بصوتها :

ـ ياولدي .. لقد آن لك ان تتزوج !

ـ يقول لها : ولكن .. ليس قبل ان تتزوج اختى !

ـ قالت اخته: هل انا عبء عليك ؟!

ـ قال : لاتقولي ذلك .. مستقبلك مع زوج يحبك ويرعاك .. ثم اننى لا احب رؤية البنات في سن عانس !

ـ قالت امه : لاعليك .. اذا جاء نصيبها فلن يستأذننا !

ولأول مرة ترتعش قدماه .. يدق قلبه .. يتصلب جفنا عينيه !

ـ حقا ياولدى .. ما اجمل ان تكون بجانبك زوجة وفية مؤنسة مريحة ! حقا ياولدي .. الفلوس تجيب الفلوس ، وديونك ستسددها وستنعم بحياة حلوة !

وانتهى بناء الفيلا .. فجاء الى امه يقول :

ـ احتفلوا الليلة .. اطبخي لنا خروفا يا امي فلقد انتهت الفيلا !

ـ قالت امه : الف مبروك .. فمتى سنسكنها يا ولدي !

ـ قال : نسكنها ؟... اننى عرضتها للايجار ، ويمكن للبيع اذا جاءتنى فيها بضعة ملايين !

ـ قالت امه : وهل نبقى في هذا الجحر ياولدي .. وماقيمة ما فعلت ؟!

ـ قال : هل جننتم .. لابد ان اسدد ما تبقى من ديوني !

ـ قالت اخته : ولكنك تسلمت بقية المبلغ من صندوق التنمية ؟!

ـ قال : سددت به بعض ديون البناء وبقي الان ان اكون ثروة ، فاذا اجرتها بمبلغ كبير شريت بذلك المبلغ قطعة ارض ، واذا بعتها شريت فيلا اكبر او عمارة !

ـ قالت الام : ياولدي .. انك ستتزوج والبيت لايكفي لك ولزوجتك ولى ولاختك.

ـ قال ساخرا : اتزوج؟! .. لا .. هذا شيىء مبكر الان !

ـ قالت اخته : واين تلك الفرحة التي رايتها في عينيك قبل شهور ، واين احلامك في الاستقرار ودقات قلبك التي تصفها كأنها دقات بيج بن ؟!

ـ قال : لا تكثري من الكلام من فضلك .. اذهبى الان وجهزي لي ملابسى في حقيبة أخذها وأتجه الى السوق لشراء بدلتين !

ـ قالت امه : ولكن .. الى أين ؟!

ـ قال وهو يتقافز : الى الخارج طبعا .. سأسافر لارتاح قليلا بعد تعب طويل .. فانا

لم أخرج من البلد ابدا .. لم ار الدنيا .. لم اشاهد شيئا !

ـ قالت أخته : ونحن .. مع من سنبقى هنا ؟!

قال : انتم ؟! .. تبقون في البيت ، وسأعطيكم مصروفا كاملا ولن أتأخر .. أكثر من أسبوعين !!

❋ ❋ ❋

وصمت قليلا بعد ان روى لى هذه الحكاية ..

ـ وقلت له : اذن .. هذه تجربتك ؟!

ـ قال : نعم .. ألست ممتعة ؟!

ـ قلت : بالفعل .. ولكن الذي يبدو الان ان حيرتك ستكون اعظم واقسى !

ـ قال : كيف ؟!

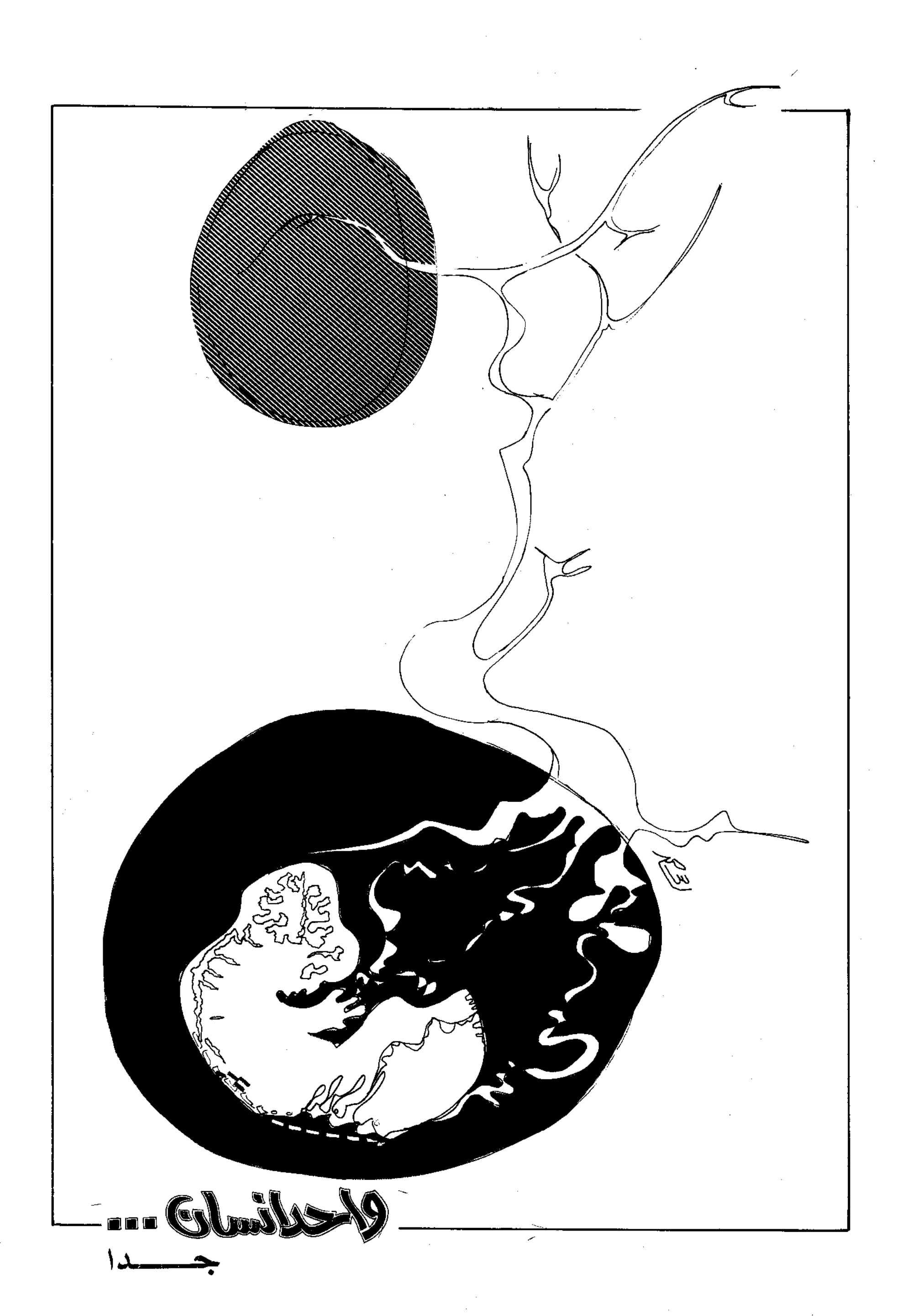
ـ قلت : لانك نسيت كل اسباب حيرتك العميقة في نفسك ... فرحت بفكرة السفر وبيع الفيلا ، ونسيت امك واختك وحياتك المقبلة ... نسيت انك شكوت لى حيرتك المجسدة في كيفية توفير مبلغ كبير من مرتب ضئيل وتوفير مبلغ للزواج واسعاد الزوجة وتوفير مبلغ لرعاية امك واختك .. كأن الفيلا قد حلت لك كل مشاكلك وحيرتك .. بينما ما اتصوره انك ستقدم على التجربة الحقيقية .. فهذه ليست تجربة وانما هي فرصة مجنونة وستكون التجربة القادمة اقسى بكثير مما تتصور !

ـ قال : انت مجنون .. انت لاتفهمنى !

ـ قلت : ارجو بصدق ان تفهم نفسك اولا !!!

❋ ❋ ❋




واحد انسان...
جـــدا





واحد انسان ...
جـــدا

وحده كان .. تختبىء نظراته في رمادية السماء وهي تغتسل بانفاس الليل القادم !
هناك .. حيث كان يتمنى ، ويحلم ، ويحيا ببعده الرابع !
وهناك .. حيث مات !!

بقي ـ وحده ـ يغزل آهاته .. يصنعها مثل شبكة الصياد ، لتلتف حوله كله ..
بجانبي كان « وحده » لا أنا ، ولاحركة الناس على امتداد الشارع ولا الأضواء التي أخذت تتناثر وتعم وتتضح مع اولى خطوات المساء .. كلها لاتوقظ معنى الحياة في وجدانه .. لاتهزه بعنفها وحقيقتها في تلك اللحظات التي يبدو فيها مرئيا وهو شيىء ميت .. ميت !!

هناك .. حيث مات واستمر يمشي بين الناس في الشوارع المزدحمة وهو نعش يتحرك ... يرى ويسمع ويبتسم ويتصرف لكنه لايبكي ، فقد مات ..

الأموات لايبكون .. الأحياء فقط هم الذين يغسلون وجوههم بالدموع ، فالدمعة حياة واحساس ، والاموات لايحسون ... لاتعنيهم ومضة تلوح من اهتمامات الناس .. لان الموت اقوى من الدموع ..

مات .. وهذه نتيجة !!
لكن لمن يعطي هذه النتيجة ؟!

كان قد خفض بصره الى الارض ، وكان يرغب ان يمارس موته بكل ابعاد الحياة التي يعيشها اليوم ، وهو يرى ويسمع ويبتسم ويتحرك ولايبكي !
وتكلم بعد هذا الاصغاء يحادث « وحدته » .. فقال لها :

ـ عندما يكون الموت نتيجة ، فلمن تعطى هذه النتيجة ؟.. لقد تعودنا في حياتنا ان نعطى كل نتائجنا للموت !

ـ كيف هذا ؟!

ـ أنت حينما تنجز عملا وتنهيه .. ماذا تفعل بعد ذلك ؟؟

ـ أفكر في عمل آخر ..

ـ معنى هذا أن العمل الذي انجزته انتهى .. خلصت منه ... معناه انه مات في نفسك ، مات في اهتمامك . مات في نشاطك وحرصك !!

ـ لكنى فعلت به شيئا .. كسبت من ورائه .. جعلته على الاقل مقدمة لخطوة أخرى .. لعمل آخر أكبر ، واوسع ..

ـ مبتسما : تماما .. تماما هذا ما قصدته . كثيرة هي الاشياء التي نقصدها ونفعلها ولكنا لانوضحها .. تماما بهذا القياس عندما تكد وتشقى ، وتتعب ، ولهذه الاشياء أنت تستخدم حيويتك ، وزمنك ، وعمرك ... تصنع وتنجز ، وتنتهي .. تموت في نهاية عملك .. وفي نهاية كفاحك في الحياة ، واحيانا لاتملك النهاية الكبرى .. تموت في المنتصف .. في النهايات الصغرى مثل أن تعمل ويقتطعون من راتبك ـ كتقاعد ـ تتركه لاطفالك .. مثل أن تبنى بيتا وتخرج منه ليأخذه غيرك ممن لازالوا أحياء لأنك انتهيت .. مت ، وهذه نتيجة !!

ـ لكن .. هناك عملك الذي يخلد بمقدار عظمته ، وأهميته ، وجدواه لحياة غيرك ، فلا تكن مغرقا في الانانية .

ـ ساخرا : صدقني لست انانيا .. ان ما اسميته بالعمل الخالد ـ ذلك الذي يطلقون عليه خلفك ـ أى ما خلفته وراءك .. هو لا أكثر من بقايا طموحك .. بقايا جريك وركضك على أرصفة الحياة !

ـ والمشاعر كيف تنظر اليها هي الاخرى !

ـ إنها حقيقة الانسان دون ريب ، لاتثريب عليك ان جعلتني أتوقف ـ الآن ـ لحظة عندها .. انها عزيزة ، وغالية .. لكن .. هل تعرف المشاعر أين تكمن ؟!

ـ مكانها الوجدان !

ـ هذا مكانها .. أما صوتها فهو الدموع !

ـ ولماذا لايكون صوتها الفرحة .. الابتسامة ؟!

ـ دعني أسألك .. لقد ضحكت ، او ابتسمت اليوم اكثر من عشر مرات .. هل كانت كلها تعبيرا أصيلا لمشاعرك ؟.. في امكاننا ان نضحك .. ان نقهقه بيسر ، فالانسان مغرور ، ويغفل .. لكنك لم تبك منذ أيام على الاقل !!

ـ اذا كنت فرحا .. لا داعي لأن استحلب دمعي !!

ـ لايقدر أحد أن يستحلب دمعه .. التماسيح فقط هي التي تخدع .. اما الانسان فتعز عليه دمعته .. لهذا كان الشعور دائما صادقا وكان الشعور قويا .. لأن صوته الدموع !!

ـ لكن العواطف تتخذل أحيانا وبالدموع !

ـ لئلا نموت على أية صورة أو أي شكل يجب أن نكون اقوياء في مشاعرنا وعواطفنا، فلا نذرف الدمع أينما كنا ، ولأي حالة ، ان الدمع عزيز .. لانه صدقنا وشعورنا .

ـ ومتى نبكى اذا كنا نكبح الدمع ، ونمارس قوة احساسنا به .. متى نبكى إذن ؟

ـ لازلت أحفظ آخر عبارة قالتها لي .

ـ من هي ؟!

ـ تلك التي مارست قوة حياتها ـ لاقوة شعورها ـ بتجفيف وتحجير الدمعة .. من أجل أن تواكب معاشى على وجه الارض .. تعيش مثلى ، ولاتحيا ، وتدير وجهها لئلا ترى« النتيجة » بمنتهى السخرية !

ـ ماذا قالت؟؟

ـ عبارة لاتغنيني اليوم بقْدر ما « تهمنى » ـ اى تغرقنى هما .. عبارة تقول : « حينما تكون منابع الالم التي تفجر الدموع في النفس اقوى من كل قوة نمتلكها .. فنحن نبكى » !!

ـ كانت تخالفك فيما يلوح ؟!

ـ فيما يلوح كانت مخالفة ، كانت تلوى عنق الجواد الذي ركضت عليه ليقطع بها مسافة الزمن ، ويعطيها أحد وجوه الاستيطان الاجتماعي !! غير ان الالم .. هو ذروة الانسان !

ـ ولماذا لوت عنق الجواد ؟!

ـ أرادت أن تؤكد ـ فقط ـ مقدرتها على لوي عنق الجواد !

ـ وانسانيتها؟!

ـ عظيمة هي .. عظيمة بانسانيتها ، وربما كانت عظيمة حينما استطاعت ان تقطع

مسافة الزمن ، وتنال أحد وجوه الاستيطان الاجتماعي !.

ـ انت تحبها .. رغم انك ميت !!

ـ وهبتها ـ ماتبقى ـ من الشعور بالحياة عندي .. فهي كانت تبحث في اللحظة التي كنت فيها قد انزلقت .. انزلقت بسبب ضحكات او ابتسامات استنفذتها سريعا ، وقبل ان اتمكن من ذرف دمعة ، حتى اذا وجدتها .. بهتت ضحكاتي ، وتثلجت ، وذرفت غزير الدمع .. عله يتحول الى مشرط يجرح ايامي ، لكنه أصبح نتيجة .. بكل العنف ، و ... الرضا !

ـ نسيِتك إذن ؟!

ـ الذكرئ مقدودة من الشعور .. لكنها تبدو من الاشياء التي ينتصر عليها الرماد ، فيغطيها !

ـ وهل هذا هو النسيان ؟!

ـ لم أقل ذلك .. انه رماد يخفى الذكرى ، وانا لا احب ان اجعلها تسمعنى دائما لئلا تتذكر انها « انسانة » معى . أحرص فقط ـ وبكل انانية ـ أن أبقى معها انا الانسان !

ـ الا يمكن أن تكون حقيقة شعورك هذا .. مجرد انقباض نفسي لا اكثر ؟!

ـ تعني انني نسيتها ، وطمرتها تحت رماد الذكرى ؟!

ـ لم أتوصل بعد الى هذا اليقين .. ربما هو انقباض نفسى في صدرك فقط .. تتجرعه ، فتظنه الموت !!!

ـ مبتسما: وماذا فعل الذين أحسوا بالانقباض النفسي ؟

ـ كل إمرىء تعتريه لحظات من الانقباض النفسي ، وهناك بعض المشاهير .. تحدثوا كيف كافحوه !

ـ من هم .. وكيف ؟؟

ـ الرئيس نيكسون ـ مثلا يقول : « اذا شعرت بانقباض نفسي جلست فورا وراء البيانو ، وعزفت بعض المقطوعات الموسيقية » ،, « اليزابيت تايلور تقول : « لدي وسيلة ناجحة لطرد الهموم والكآبة .. وهي انى آكل طعاما مخلوطا بتوابل حارة فيلتفت انتباهي الى لساني !! ».

ـ تضحكني ..إن انقباض هؤلاء .. يرجع لاشياء ملموسة غالبا .. لاشياء مادية بحتة ،

فالاول انقباضه ليس في نفسه وانما في اصابعه او في سمعه ، والثانية انقباضها في لسانها ، او في معدتها(!!) .

ـ ومارأيك فيما قاله الفنان ـ انتونى كوين ـ؟!

ـ ماذا نصح ؟؟

ـ قال : « أفكر بالزمان الذي كنت فيه أفقر الناس .. ثم اقارن بوضعي الحاضر ، فاعترف لنفسي بأني تمتعت بحظ نادر ، ويعود الفرح الى نفسي »!!

ـ أتجاوز بك ، واعتبر كلام هذا الفنان معنويا .. رغم حديثه عن الفقر ، والغنى ، وهذا لايعتبر قضية ما دمت قادرا على العمل ، وعلى اعطاء مزيد من عرقك المنداح .. لكنى أتجاوز ، واقول لك ان « انتوني كوين » إنتقل من زمن الى زمن ..من حالة الى حالة اخرى .. من حقيقة الى حقيقة ، لكنى انا تصلبت عند زمن معين يوم عرفت عطاء دمعتي ، ولم أنتقل من حالة الى اخرى .. فالحب ليس حالات .. انه نقرة .. يقظة واحدة ، ويبقى صداها ، وصحوة من أحلام ، وأماني ، وتفاؤل مريح على حقيقة .. على ضرورة انطلاق جوادها حتى لو كانت عنقه ملتوية بعنادها هي !

ـ عش بالصداقة .. ان الفنان « فاجنر » له عبارة معناها : ان الصداقة أجدى علاج للحزن .. لقد كان ينادي أصدقاءه ويولم لهم في بيته كلما اهتم ، وحزن !

ـ وبعد ان ينفض الاجتماع ، او الوليمة ، ويعود كل واحد الى مأواه ، وتطفأ الاضواء القوية وتبقي اضواء الاباجورات والزوايا .. ماذا يحس لحظتها ، وماذا يفعل ؟.. الا يعود الى سيرته الاولى ؟!!

ـ وما هي الاسباب التي أبعدتها عنك ؟!

ـ لم تبعدها ، وانما أبعدتني انا في البداية .. ثم ضيعتها بعد ذلك .. ضيعتها في صدى فرحة مشدودة على شفتين مبتسمتين !

ـ إحكى .. إطرح أوجاعك !

ـ لقد طرحتها .. انى حزين فقط ، وهذا الحزن المسه حينما تطفر الدمعة من عيني . قد اعتقد انني ميت للأبد .. غير ان الدمعة احيانا تعطي فرصة التفكير .. التفكير على الاقل

ـ في ماذا احيا .. أو كيف اعيش !

ـ قنوط ، وشقاء ويأس .. انت معذب !

ـ أبداً .. العذاب لا أحس به ، لأن « الضرب في الميت حرام » !!

***

صمت . صمت آخر ثم استطرد يحادث « وحده » :

ـ تريدني أن أحكي ؟!!

ـ سأريحك بهذا البوح ، وسأخلص منك حينما يعود مرحك اليك حتى نستطيع ان نقضي الليلة سهرة « متعوب عليها » !

ـ البوح يريح لاول مرة ، أما معى فلاجدوى .. انني أبوح كلما تذكرت ، فقل لي أين تريدنا أن نسهر الليلة ؟!

ـ انا هنا غريب في هذه المدينة الاوروبية ، فهل تراني أجرى وراء عيون المساء ؟!

ـ المساء مغمض العينين دائما .. عيوننا هي التي تشرع وترى في المساء !!

ـ أوه .. أرحنى من استلهامات ذهنك .. اريد ان اسهر للصبح !.

ـ تسهر وسط صخب هذه المدينة ، ونواديها الليلية ، وزعيق موسيقى الجاز ؟

ـ نعم .. ألديكم مايمنعنى أيها الاموات الاحياء ؟!!

ـ بعض الموت حياة .. لا تضطرنى أشعرك اننى اناقض نفسى فتتعبنى في الشرح ، والتوضيح !

ـ أنظر هناك .. إثنان يمشيان الهوينا .. مؤكد هما الى سهرة!!

ـ سعداء .. إنهما في سهرة مستمرة .. ليس شرطا ان تنحشر وسط الضائعين ، او المبذرين او الفاقدين الهاربين بأوجاعهم بكل وكسة ، وضيم .. أولئك الذين يصلبون جفون عيونهم فقط ، يرقصون أحدث رقصة ، ويدلكون أقدامهم بعد ذلك ، او ينامون ببدلة السهرة سكارى العقل والروح !

ـ اقتربت أنا من مرحلة الجنون بفضلك .. ماذا تريدني أن أفعل ؟!

ـ تحس بانسانيتك .. تعطي نفسك قيمة الراحة الحقة من وراء فكرة ، ومفعول السهرة !

ـ كيف أشعر بانسانيتي ؟

ـ أن تتأثر بالصورة التي لفتّ نظرى اليها قبل ثوان . ان يكون في مقدورك تحقيقها لزمنك .. لساعات ليلك ، فالليل لايحتمل الا صوتين !

ـ أنت رومانسي .. خيالي!!

ـ أنا ـ فيك ـ انسان عرفت الحب ، ويؤلمني ان يضيع منك بسبب غرورك، وتفريطك ، وشهواتك !

ـ لكن هذا « سلوك » ياصديقي ، وانا التزم بالسلوك طيلة النهار ، وجزء من الليل ، وأريد أن أتجرد من كل شيىء يذكرني بالسلوك لمدة ساعة فقط .. لاحدث التغيير في نفسي .. لأستطيع أن أستكنهه ، فالطعم الواحد يبلد !

ـ بعد الساعة .. سوف لاتعرف طعما ولاترى تغييرا .. سوف تنام بحثا عن اقرب عطن !

ـ دعنا نسير في هذا الشارع .. تحت اضوائه الخافتة .. ربما .. ربما اضعتك ، أو أضعتني ، ويبقي اللقاء بعد ذلك ـ بعد الضياع ـ مؤثرا ، وفعالا وتغييرا !!

ـ هل لازلت تذكر مفتاح حديثنا ؟!

ـ جدا .. بدايته أنك مت ، وهذه نتيجة !!

***

وقهقها هو ، و .... « وحده » يمزقان صمت الشارع الكبير!!

وأردف هو يقول:

ـ كنت أردد دائما عبارة تقول : المهم أنني إنسان .

ـ وماذا كانت النتيجة؟!

ـ (يمسح دمعة تحدَّرت من مآقيه) : ناقشت هذه العبارة شهورا في ذهني ..ناقشتها وأنا ميت ، وأنا نعش أعدو ، واتحرك ، وأبتسم . وأنا احمل على كاهلي « النتيجة » .. ثم ..

ـ ماذا كانت « نتيجة » النقاش ؟!

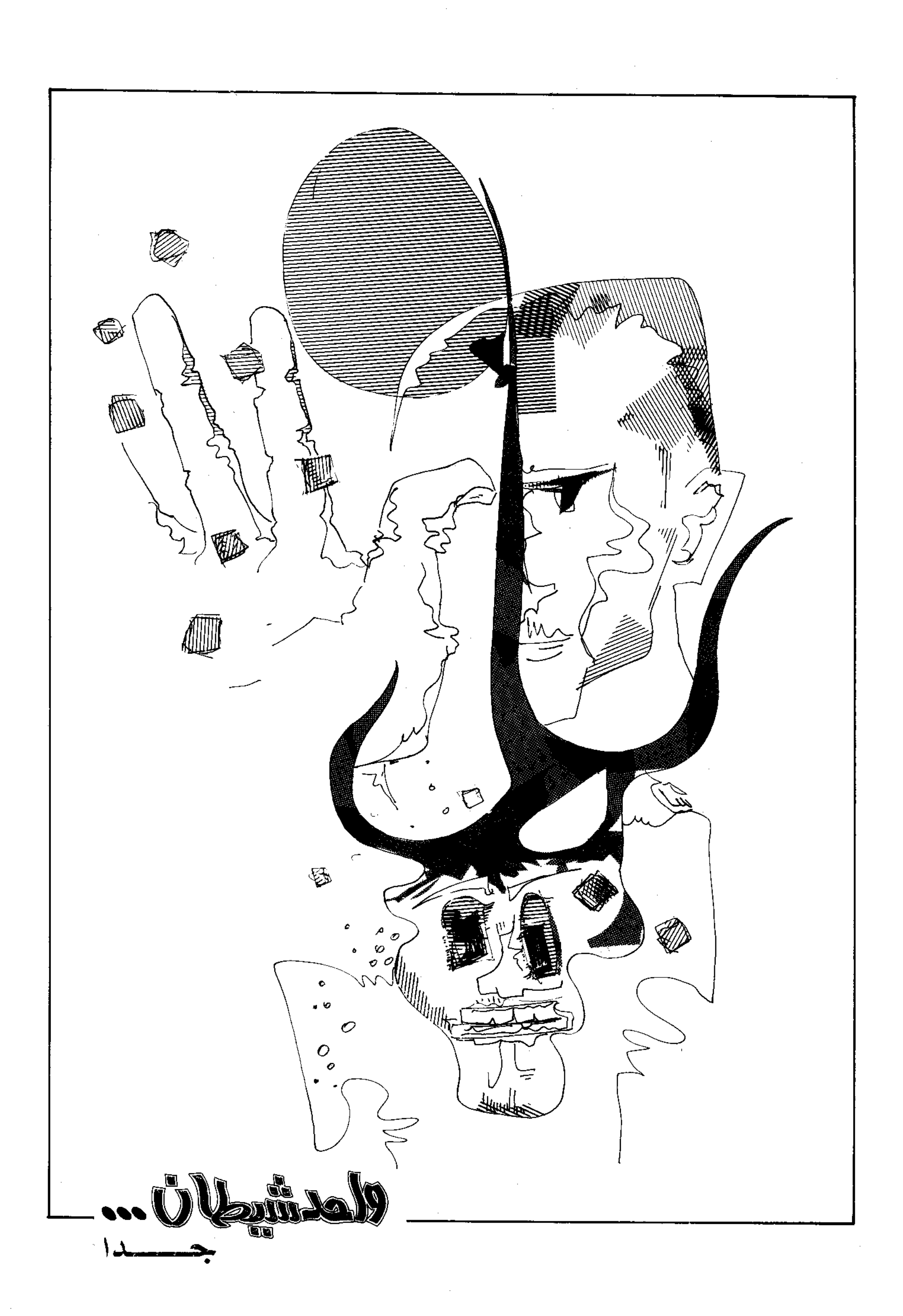
ـ لا .. ليست نتيجة .. كانت العبارة تنمو في ذاتي ، وتفكيري يوما بعد يوم ، واقتنعت أن الحياة من أجل أن يؤكد الواحد انسانيته تبدو حياة جديدة .

ـ ألسنا جديرين أيضا بالانتصار على فكرة الموت ؟!

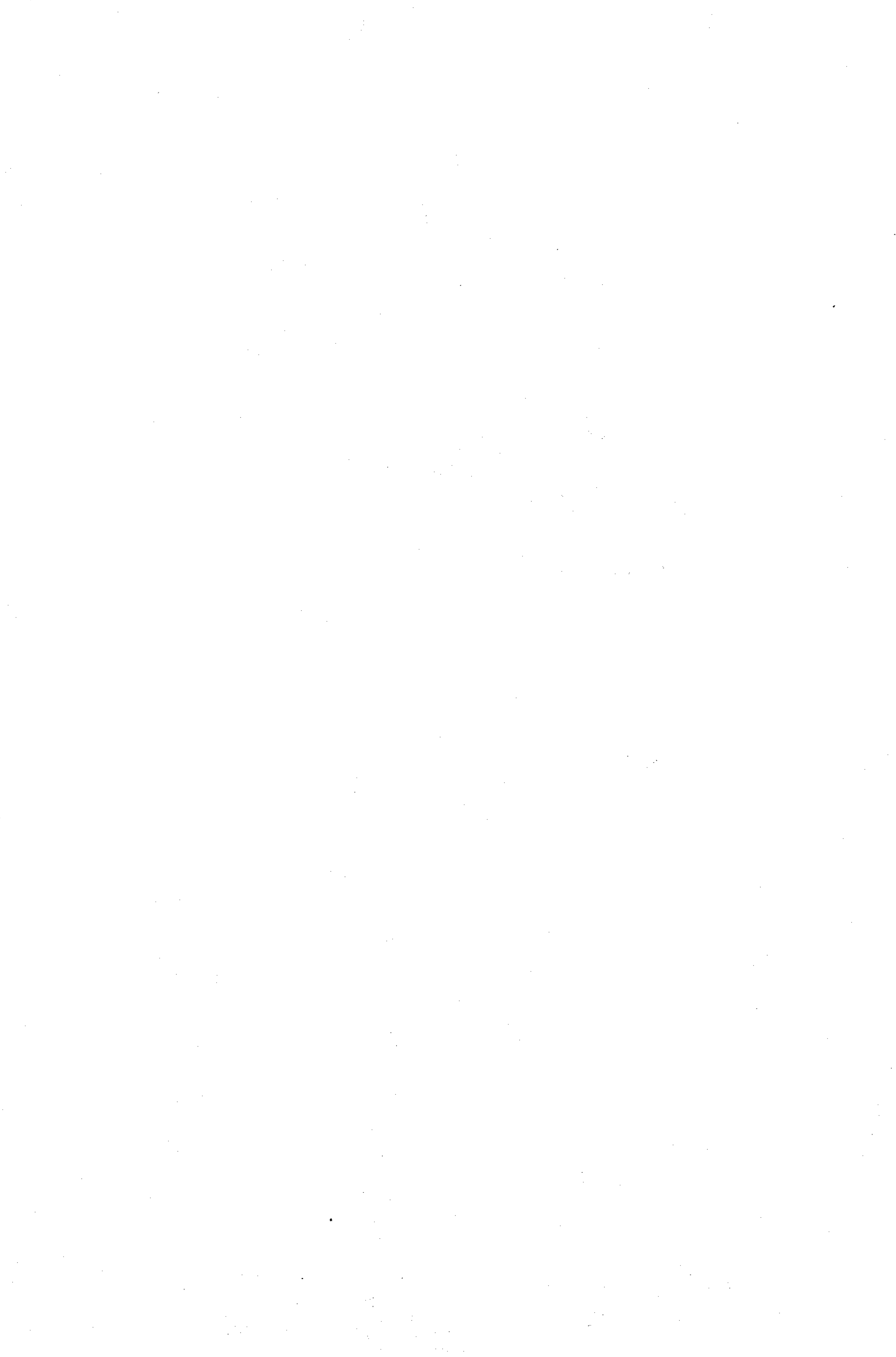
ـ حينما تتمكن من « المهم »!!

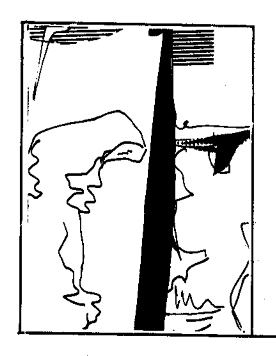
ـ المهم.. انني إنسان ! .. تلك النتيجة وحدها !!





واحد شيطان... جـــدا





والمدشيطان... جـــدا

في وسط الزحام ..

وبين جلبة الأصوات التي اختلفت في لهجتها ، ولغتها .. وفي محاذاة تلك الاكتاف الملونة غير المتناسقة .. كان يسير ، وفي أعماقه يتردد صدى صوت شيطاني يوسوس له :

لقد كان يصغى الى الصدى في داخله .. لصوت لم يتبين مصدره .. إن نفسه لا توسوس له بمثل هذه الأفكار !

إنه الشيطان اللعين .. وفي يوم ضَرْبِه بالحصا !؟

لقد كان الشيطان يقول له في تلك اللحظة : يا أخي أرمي الحجارة واركب سيارتك ، واذهب الى بيتك بلا وجع دماغ !

ـ ويتلفت حوله .. ويرد على الصوت : أنا لست أخا لك يا شيطاناً يا مريدا ، وسأكمل حجي ، وأؤدى ما يتوجب عليّ كمسلم !

ـ ولكنك شاب ، وفي امكانك أن تؤدي الحج في أوقات كثيرة !

ـ لكني لا أضمن عمري .. ربما انتهت حياتي غداً ؟!

ـ ولا يهمك .. كل شاب يموت هو شهيد !

ـ أيها الشيطان الملعون .. من أين أخرجت كلامك واتيت به ؟!

ـ لا ياعم .. ليس كلامي هذا ، لقد قاله انسان مثلك .. كل شاب يموت هو شهيد .. هكذا سمعت !

ـ طيب حل عن نفسي وفارق .. أنا أرفض أن أكون شهيداً بالصورة التي تصفها !

ـ على كيفك .. أنتم هكذا ، ترفسون النعم بأرجلكم .. والاّ لو تسمع الكلام الآن تروح تنام في بيتك .. ياسلام . شيئ لطيف !

ـ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم !

***

ويسير في شوارع « منى » يتلفت حوله ، وبين يديه مجموعة حصوات صغيرة منتقاة ، وفجأة يسمع في داخله صوتاً :

ـ شوف .. شوف !!

ـ فيه إيه كمان ؟!

ـ يا ولد الناس اعتدل ، خليك شباب بصحيح .. شوف الجمال اللى قدامك .. يا حلاوه !

ـ أشوف إيه .. إلهي تنطص على عيونك يا شيطان الكلاب !

ـ لا .. لا .. سفاهة ناس من اشكالك ما بيننا . انا افتح عيونك على النعيم با بجم ! الجمال قدامك . شوف وجهها قمر . شوف جسمها « ملبس » ! شوف ..

ـ يا شيطان ابتعد .. بس (يصرخ وسط السائرين) .

ويجتمع حوله بعض السائرين ، ويبدو وجهه متوترا كمن صفع عدة صفعات .. ويأخذونه الى مقهى قريب ، ويدلقون على رأسه الماء ، وهو يبدو مذهولاً .. يشير بأصابعه الى « الجمرة الوسطى » ويقول :

ـ شوفوا .. شوفوا .. جميلة .. يا حلاوة .

ويتخلص من حصار الناس ، ويغيب في زحام جديد !

وفي محاذاة تلك الاكتاف كانت يدي تقبض على الحصى لأرمي الجمرات ، وكان يسير بجانبي في ذهول . في عينيه حملقة فارغة ليس فيها تركيز ! وفي تفكيره ـ كما قدرت ـ أشباح اراء لم يكتمل نموها ، ولم يحن مخاضها ، وسمعته يقول لي بصوت خلته قد ضاع في هدير السائرين :

ـ أين هو الشيطان ؟

ـ قلت له : والى أين انت ذاهب الآن ؟!

ـ قال : معك .. نرمي الشيطان !

ـ قلت له : ان خطواتك هذه من أجل رمي الجمرات .. انها جمرات هذه التي في يدك ، وليست شيطاناً !

ـ قال : أنا أعرف ان الشيطان ليس في يدي ، والا لما كنت بجانبك الآن !.. لكني أيضاً لا أبصره أمامي .

ـ قلت : إسمع يا صديقي .. لقد قال « مارك توين » مرة : (شكسبير والشيطان أعظم مجهولين ـ وبالتثنية ـ) ويخيل لي ان المرة الثانية سأقولها أنا بدلاً عن مارك توين لك انت !

ـ قال: لكنني لست مجهولاً .. انني أبحث عن معنى لهذا العمل الذي نؤديه ؟

ـ قلت : وتستغفر الله بعد ان تعرف ؟!

ـ قال : وهل ألحدت ؟.. ان الله ربي ومحمد نبيي .. غير انني أبحث عن مزيد من المعرفة !

ـ قلت : ان هذه الأبنية الثلاث التي تقف أمامها وتقذفها بالحجارة اسمها « الجمرات » .. ليست هنا شياطين بمعالم بارزة ملموسة .. هنا رمز أقيم للشر ليتوافد عليه المسلمون في لحظات واحدة ذات توقيت .. في أيام ثابتة .. في هدف واحد ينحصر في مهاجمة أصل واحد . هنا وحدة هدف اجتمعنا بها ، واستقطاب لمشاعرنا التي تتجه كلها نحو عدو واحد معروف مشترك !

ـ قال : وماذا أيضاً ؟

ـ قلت : الا تحس الآن أن هنا وحدة هدف تجمع هؤلاء المسلمين كلهم للاتجاه نحو عدو مشترك تقذفه بالحجارة ؟. هذا الاتجاه هو ـ في مفهومه ـ فلسفة كاملة رائعة ، عن التقاء المسلمين في عمل واحد ، وتخطيط واحد ، ونتيجة واحدة !

ـ قال : أحس « برد » الاقتناع يملأ جوانب نفسي هذه اللحظة ، لكن .. ألم تقرأ كلمة أخرى « لمارك توين » الذي ذكرته .. يفلسف فيها عمليات الشيطان ؟!

ـ قلت : لنناقشها في هذا الجو .

ـ قال : مارك توين كتب جملة على لسان الشيطان تقول كلماتها : « إن الإنسان مصنوع من تراب ، أما أنا فلست من تراب !. الإنسان متحف للأمراض والأقذار .. فهو

يأتي اليوم ويرحل غداً ، ويبدأ كتراب ، وينتهي كشيئ نتن .. انني من الارستقراطيين الذين لا يفنون ! »

ـ قلت : هذا بحث آخر دعني أناقشك من آخر كلمة في جملة شيطان « توين » .. إن شيطانه يقول : « انني من الارستقراطيين الذين لا يفنون » .. مع ان الفناء نتيجة حتمية واقعة بلا شك .. كل الطبقات ، وكل العالم باتجاهاته والوانه ، ولغاته سينحدر الى فناء ، وساعتها لن يبق مخلوق .. فناء عام ينهي كل ذرات الشيطان ، ويعطل أعماله ووظيفته .. لكن « مارك توين » كما فهمته لم يكن يهدف إلى فلسفة وجود الشيطان .. بقدر ما كان يريد ايضاح الصورة التي تبرز حقيقة « الإنسان » الذي يملأ الوجود طولاً وعرضاً وهو قذر (!)

إن الشيطان ـ يا صديقي ـ حقيقة معروفة ، وقصة رواها لنا القرآن الكريم ، وعنصر شك يفتك بكل ما يستطيع .. غير ان الإنسان ذاته لم يعرف ـ فيما يبدو ـ قيمة الحياة التي يعيشها .. فالحياة في تفكيره ونظراته مضطربة مشوشة كما خطوط القلب المضطرب تحت عملية جراحية .. لا يرى فيها وجوده .. انما يخاف وجوده في هؤلاء الذين من حوله !

ان الإنسان يعيش وحوله الآخرون يمارسون نفس المهنة ، ويساقون الى مصير ، ومع هذا فانه لا يفكر الا في الأقذار التي حوله ، ويصم ، ويعمى عن الجمال ، والطبيعة !.. وعندما قال « توين » ان الإنسان متحف أمراض وأقذار فهذه هي الحقيقة !.. واذا كنت تخالفني فاحمل معي مشعلك ، وابحث عن الأخلاق .. أين هى الأخلاق فيما حولك ؟!.. سأرغمك على اطلاق نظراتك من حولك لتقدم لي دليلاً واحداً .. تستله من تصرف انساني يتصف بالحب من انسان شغلك كثيراً بصوته وكلماته التي يردد بها معاني الحب .. إبحث جيداً ؟!

ستجد ان الأخلاق في دنيا الإنسان تمر بأزمة حادة .. أزمة تمخضت عنها حرب يونيو ونتائجها ، وارتفعت كثيراً عن مستوى أزمة « بروفيومو » وتميزت كثيراً عن الأزمة التي عانتها أمريكا أثناء اغتيال ابراهام لنكولن محرر العبيد في أمريكا ، واثناء اغتيال كيندي ذبيحة الصهيونية ، وأزمة الأخلاق في اغتيال غاندي !

ان هذا مستوى الأخلاق في تاريخ معاصر وقريب !

ان الشفاه التي تنفرج كثيراً بابتسامة تدلقها على وجهك .. ليست سوى شفاه مطلية

بالروج الذي يزال بالماء .. لتظهر من تحتها التكشيرة !

ان اقنعة « البلياتشو » قد ارتفع ثمنها بسبب الاقبال الكبير نحوها من الناس !

وليس هذا تشاؤما وامتهانا لانسانيتي ، وانسانية كل البشر .. اذ لا يمكن أن أكون أكثر من انسان !

وأعود بك الى موضوع الشيطان الذي بحثت عنه في خطواتك .. انك كنت تبحث لحظتها عن نفسك .. فقد كان الشيطان مواطناً أصيلاً في داخلها !

ـ قال : ماذا تعني ؟!

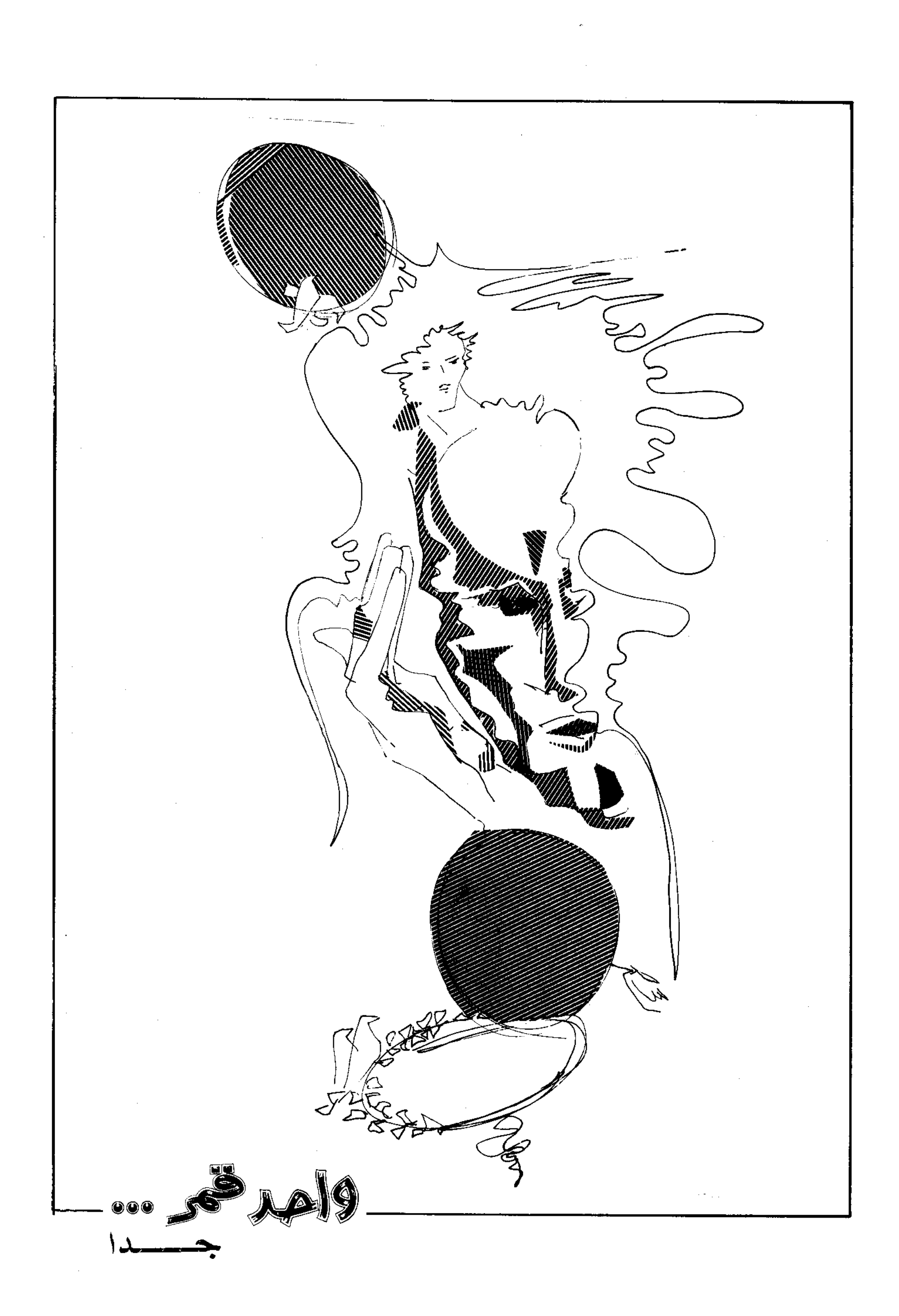
ـ قلت : أعني أن يعطي كل واحد منا للآخر سبع حصوات ، ويطلب منه أن يقذفه بها !

ـ قال : لكني لا أقبل أن ترجمني بحصاة !

ـ قلت : حتى الشيطان لا يقبل ذلك !

***





واحد قمر ... جـــدا





واحد قمر ... جدا

على الدروب الطويلة يضيء القمر فيؤنس الساري !

في ليالي الشوق ينعكس نور القمر ، وفي ظله يتعاطف الصدى وتسهر العيون ، وقد هرب عنها الكرى ، مشرعة شاخصة الى « زورق الفضة » على صفحة السماء !

والقمر رفرق قلوب كثير من الناس .. كانت اشعته تغسل الشوائب في النفس .. تغمر لذات بالطمأنينة والحب .. ويحتضن هو كل النظرات المتجهة اليه . وكلها نظرات ألم الحب . ونظرات السارين في دروب الوحدة .. ونظرات الذين فقدوا الهجوع !

ومن قديم .. وحتى الآن برغم الصورة البشعة التي نقلها علماء الفضاء عن القمر . لازال الناس ينطرحون تحت ضيائه شاردين في تأمل عميق !

ولم يزل الاحتفاء بموكب القمر في لياليه المعروفة .. احتفاء مستمرا لم يؤثر عليه حتى « منطق » العلماء .. والناس يستمرون يرددون مع أم كلثوم :

هلت ليالي القمر تعال نسهر سوا

في نور بهاه

وفي الأغاني .. أحب الناس أغنية حديثة في محيطنا وأقبلوا عليها .. كأنهم بذلك الاقبال يخرجون ألسنتهم لكل محاولات الوصول إلى سطح القمر .. ويغنون :

يا قمـــر شوف الحبايب كل واحـــد له رفيق

الا قلبـــي مالـــو صاحب ماشي وحـــدي في الطريق

لقد جعلوا من القمر محكمة استئناف للمحبين ، وملاذ « التعبانين » من الحب !

ومن قديم .. حفظ الناس على مر العصور بيتا شعريا تصويريا للشاعر عبد الله بن المعتز القائل :

وانظـر اليه كزورق من فضة قد أثقلتـه حمولـة من عنبر

مساكين المحبين ، حتى ألهم يحملونه القمر .. يصفونه بالعنبر !

وشعراء كثير تغزلوا في القمر الحقيقي ، وفي القمر مجازا !

ولكن هناك أيضاً من هجاه وذمه .. فقال ابن الرومي :

يا بدر أنـت تغـدر بالسار ين وتـزري بزورة الحسناء

كلف في شحـوب وجهـك يحكي نكتـا فوق وجنـة برصاء

يعتـريك المحـاق ثم يحليك شيبـة القلامـة الحجناء

ويليك النقصـاء في آخر الشهـر فيمحـوك من أديم السماء

فاذا البـدر ينسـل بالهجـو هل يا من ذو الفضـل ألسـن الشعراء

أجل .. ابن الرومي أراد أن يرسل شؤمه الى القمر أيضاً .. لكنه لم يستطع في النهاية ، فقال : هل يأمن ذو الفضل ألسن الشعراء ؟!

وكان بهذا يعترف أن القمر من ذوي الفضل !!

وجمعت معي بعض المعايب التي قيلت عن القمر ، وفيه ، والمشاكل الجديدة التي اكتنفته . وغمرتها في نظراتي ذات ليلة من ليالي النصف ..

وجلست أتطلع الى القمر وهو في موكب رائع فاتن .. كنت أريد أن أتحدث معه ، وأعرف منه أشياء كثيرة غامضة ، وأناقشه في مشاكله مع سكان الأرض ، ومشاكل الناس على الأرض معه !

إنه لا يعرف ـ عندما سألته أول سؤال ـ ماذا أعني بالتحقيق الصحفي ؟.. إنه يعرف فقط التصوير العلمي الذي استخدمته واستفادت منه الصحافة يوم نشرت صوره .. وفضحته وكشفت سرائره وبواطنه .. كان يبدو غاضباً .. وعصبياً ، وكان يقول :

● هذه منكم يا سكان الأرض ؟ أنا أحنو عليكم ، أواسيكم في وحدتكم .. أضيء دروبكم .. أمنحكم بوجهي راحة نفوسكم .. أرقرق قلوب من تحبونهم . وأنتم ـ بطبيعتكم ـ تجرون وراء الأسرار .. تعكسون الجوانب البشعة في داخلي .. لماذا تبحثون عن الجوانب البشعة فقط ؟؟!

ـ قلت له : بالعكس .. نحن نحبك أكثر ، وهذا الحب هو الذي دفعنا أن نرتاد الفضاء لنصل الى سطحك .. نعرفك أكثر وعن قرب وملامسة .. ألآ تعرف يا ـ يا قمر ـ ان الذي

يحب يصر أن يعرف كل شيء عن محبوبه . حياته . تصرفاته . سلوكه . جوانب الجمال فيه . معايبه . نفسيته .. أعماقه ؟!

● قال : هذا فضول الإنسان ، مع أن السكان هنا على سطحي يقدرون كوكبكم . يتطلعون الى الأرض باعجاب .. والذي يحب هنا يقول لحبيبته متغزلا : أنت وجهك زي الأرض .. وبهذا يمتدح جمالها !

قلت في سري : أية أرض هذه ؟. ورفعت صوتي أقول له :

ـ أريد أن تصف لي نفسك .. طبيعتك .. أعماقك .. ماذا فيك ؟

● قال : حتى تفضحني عند سكان الأرض ؟.. ومع ذلك فقد أحسست ان جسمي يتألم بما وصل اليه من صواريخ ومركبات .. ان القذائف العلمية أهلكتني .. الم تقرأ ما قاله عالم أمريكي لديكم على الأرض ؟!

ـ ماذا قال ؟!

● قال العالم : ان القذائف العلمية الأساسية التي يمكن اطلاقها من الصاروخ « سنتور » تجعل من الممكن الحصول على نزول لين بالمعنى الصحيح الى سطح القمر » .

ـ قلت ضاحكا : هذا فأل .. دليل أن الناس يحبونك لأنهم يريدون أن يكون النزول على سطحك « ليناً » .

● قال ساخراً : ان الناس يحبون أنفسهم .. ان النزول اللين يخدمهم هم حتى لا تتحطم مركباتهم ، ولا يفقدون رجالهم .. وبذلك بدل أن يستعمروني بعد خمس سنوات يستعمرونني بعد سنة .. صدقني إن كل الذين يحاولون الوصول إلى سطحي هم استعماريون .. انهم يضحكون عليكم في الأرض بالأسلوب العلمي ، وهذه أحدث موضة للاستعمار !

ـ قلت : دعنا من هذه الصورة فأنا هارب اليك .. الى هدوئك .. الى ضيائك فلا « تغم » نفسيتي !

● قال ضاحكا : لا تهتم .. أنا متسامح ، انما قل لي .. أنت من سكان أية منطقة في الأرض ؟!

ـ قلت : من منطقة الشرق الأوسط (!) .

● قال : ها .. من أجل هذا نفرت من الحديث عن الاستعمار ، لأنكم تكتوون بناره في

المنطقة .

ـ قلت : انت تقول انك متسامح .. فما دليلك على ذلك ؟!

● قال : دليلي من عندكم . ألم يقل أحدكم ياسكان الأرض : « ان يبغ عليك قومك فلا يبغ عليك القمر » ؟!

ـ قلت : هذا مثل عربي .. هذا دليل حبنا لك !

● قال : وقلتم مثلاً آخر يختلف .. هو « أضيع من قمر الشتاء » لأنه لا يجلس فيه ولا اليه أحد !

ـ قلت : البرد قارس أحيانا .. والإنسان لا يتحمل الارتعاشات القوية !

● قال : وهل هناك أقوى من ارتعاشة القلب عندما يحب ، ومع ذلك تتلاعبون بقلوبكم أحياناً حتى وهى ترتعش !

ـ قلت : لحظتها ـ يا قمر ـ لا نفكر الا كيف نزيد تلك الارتعاشة !

● قال ضاحكا : أنتم معذورون .. فكل أدوات التعبير الملموسة عندكم .. أول شيئ تفعله : الارتعاشة !

ـ قلت : وبعدين معاك .. لتكن لطيفاً كعادتك !!

● قال : إذن غير الموضوع .. فأنتم يا أرضيين لا تتحملون حقائقكم !

ـ قلت : يقولون ان طبيعة مناخك قاسية .. فماذا تقول ؟

● قال : « ان نهاري يبلغ الأسبوعين طولاً ، ويتعرض سطحي في هذا النهار لشمس ساخنة محرقة .. وهو السطح المضئ ، وترتفع درجة الحرارة عند خط استوائي الى أكثر من درجة غليان الماء عندكم » !

ـ قلت : ومتى يحدث عكس ذلك ؟!

● قال : (يحدث عكس ذلك أثناء الليل الطويل إذ يبرد السطح بسرعة كبيرة ، فليس هناك طبقة عازلة من الهواء ، ولهذا تهبط درجة الحرارة الى ٢٤٠ ف وهذا المدى يبلغ نحو ضعف المدى الحراري المطلق الذي سجل على سطح الأرض في تاريخها الطويل) .

ـ قلت : على مهلك .. توقف . كيف عرفت هذه المعلومات عن نفسك ؟

● قال باسماً : ألم تقولوا أنتم رحم الله إمرءا عرف قدر نفسه ؟!

ـ قلت : صحيح .. ولكن هذه المعلومات وزعتها ادارة الأبحاث الأمريكية من

سنوات !

● قال ، تريد أن تقول أني أمريكي ؟!

ـ قلت : ليس هذا .. وانما لعل معلوماتك عن نفسك أمريكية !

● قال : اذن اسمع وتعلم .. « القمر خال من الهواء الجوي .. لذا يتعرض الإنسان الى أشعة الشمس المباشرة فيكون هناك اشعاع شديد من الأشعة فوق البنفسجية . وبعض الأشعة السينية الشمسية » !

ـ قلت : ماذا في هذا الكلام ؟

● قال : كلام علماء الروس !

ـ قلت : إخّيه ـ بتشديد الخاء ـ إذن فأنت شيوعي . حتى القمر يحاولون جعله شيوعياً ؟!

● قال : لا شيوعياً .. ولا أمريكياً ، ولكني مشدود من الطرفين .. كل فريق يريد أن يأخذني في أحضانه قبل الآخر !

ـ قلت : وأنت ماذا تريد أن تكون ، أو الى حضن من تلوذ ؟

● قال : شوف .. الحضن الشيوعي يمحي الشخصية . وينكرني في النهاية فلا يعد للناس قمر بعد ذلك ، والحضن الأمريكي يضعني في فترينه بديكور ، ويكتب على وجهي : U.S.A بحجة أنه يحميني من الآخرين !

ـ قلت : قل لي يا قمر ، ما رأيك في لجنة « سيتكس » التي كونتها أمريكا من سنوات لتبحث في نتائج العدوى التى يخشى أن تصيب القمر والكواكب عن طريق البعثات الأرضية ؟!

● قال : والله هى عدوى بلا شك .. فأنتم يا سكان الأرض مشاهدتكم عن بعد أكثر سلامة من الاختلاط معكم ، ولهذا فأنا في داخلي عراقيل ستتعب رواد الفضاء وكذلك في الكواكب الأخرى . والسبب أننا لا نأمنكم ونعتقد أن فيكم وباء لا يصح ان يصيبنا !

ـ قلت : على هونك يا قمر .. أرد عليك بحقيقة عملية أخرى فلقد قالوا : « يجب حماية المكتشفين في القمر ضد الأشعة الضارة .. ولذلك فان الآلات التي تسجل باستمرار في المحطات القمرية ستعطينا المعلومات الضرورية عن هذه الأخطار قبل أن يضع الإنسان قدمه فوق أرض القمر ! »

● قال : ربما أعطتكم آلاتكم المعلومات .. لكن ذلك سيكلفكم كثيراً حتى تصلوا !!

ـ قلت : نغير الموضوع ، فحدثني عن الحب على سطحك ؟!

● قال : عندنا جميلات مثل الأرض !

ـ قلت : وبعدين معاك ؟ الأرض حجارة ومستنقعات وجبال وأتربة .

● قال : ألم تقولوا ان في القمر أيضا جبالا وحجارة واشعاعات قاتلة .. ومع ذلك أتيت الى .. تتأملني وتسألني وأنت شحنة شجن ؟!

ـ قلت : علماء الأرض قالوا : « ان تحليل ترابك اذا لم تصبه عدوى من يد الإنسان فهو هيدروكاربونات انبعثت في الفضاء الكوني » !

● قال : ان ترابي هذا هو تاريخي ، وأنا لن أسمح لكم يا سكان الأرض ان تلوثوا تاريخي .

ـ قلت : ول ، أنت حمقان جداً !!

● قال : أنا أدافع عن تاريخي !

ـ قلت : طيب . قال العلماء ان الإنسان على ارتفاع ٥٠ ألف قدم لا يفقد قابليته للحب .. فكيف يكون الحب عندك ؟!

● قال : الحب هنا التئام .. ان كل السكان متمرسون على أنواع الرياضة البدنية ، وعلى الانزلاق المستمر ، فخطوات السكان هنا كلها انزلاق !

ـ قلت : يا حلاوة يا قمر على الانزلاق في الهواء !

● قال : اما في الأرض فأنتم تنزلقون على أهوائكم ورغباتكم ، ولهذا فقد ارادت امرأة من عندكم مرة أن تهرب وترضى أن تصعد في مركبة فضائية ، وتجرب انعدام الوزن ـ انما على خفيف ـ ولو قدر لها ان تخرج في الفضاء من مركبتها لأحبت الانزلاق في الهواء . فهو يقرب الاثنين بعضهما الى بعض .. دائماً ، أما انزلاقكم في الأرض فهو يبعد الاثنين دائماً . وبسبب انزلاقكم تأتون .. وتتطلعون الى ضيائي . وتشكون قلة بختكم .. وهجران أحبائكم عنكم !

ـ قلت : لكن هذا لا يمنع من الاقتناع بحقيقة تقول : اننا نحب !

● قال : تحبون على طريقتكم ، ثم تتأوهون وتنوحون وتقولون غناء : « يا قمر : ايش حصل بيني وبينك .. حتى عن عيني تغيب » ، فيا أيها الأرضي أنا أرفض الاستجداء في

الحب ، فكونوا سماويين !

ـ قلت : عندنا حب الروح .. الآ تعرف عنه شيئاً ؟!

● قال : نعم نعم .. يذكرني هذا بحكاية طريفة شاهدتها من علوي ، فقد كان أحد المحبين طافشاً مهموماً حزيناً .. اختلف مع حبيبته ، أوهى تركته لتذيبه ، فجاء الى نافذته وجلس يتطلع اليّ ، والدمع يترقرق في عينيه ، فسطع نوري عليه .. منحه صبابة وطمأنينة ، وأخذ يفكر ، ويستغرق في تأمله .. ونام على حافة النافذة . وفي الليلة الثانية رأيتهما معاً ـ هو وهى ـ وضحكاتهما تشوش على جلال الهدوء من حول نوري على الأرض !

ـ قلت : يا سلام .. شيئ حلو ؟

● قال : مبسوط ؟! مساكين .. فرحتكم مستعجلة ، وغضبكم عاجل !

ـ قلت : ومن الذي يحب يا قمر ؟!

● قال : الذي يبكي !

ـ قلت : اذن .. الدموع في رأيك هى تعبير عن الحب ؟!

● قال : الدموع هى حدقات الوجدان ، فبعدما يبكي الإنسان يرتاح ويبصر أكثر .

ـ قلت : عجيب .. ومتى يحب الإنسان ؟!

● قال : يحبّ .. عندما ينكر ذاته !

ـ قلت : ولكنهم يقولون : الذي يحب يترف نفسه ، والذي يترفها يحب نفسه .. وهو الأناني !

● قال : الأنانية عندكم في كل شيئ ، فقط .. تختلف أبعادها ، ومفعولها . ودوافعها .. فهناك أنانية مضيئة !

ـ قلت : لا تجنني !

● قال : لقد جن غيرك ، ولكني عرفتكم جيداً يا سكان الأرض !

ـ قلت : والحب عندكم هنا .. أليس فيه أنانية ؟!

● قال : عندنا الذي ينزلق على الهواء منفرداً دون أن يلتئم بمن يحبه أنانيا !

ـ قلت : عال !.. تعني أن الانزلاق على الهواء طموح ؟!

● قال : أبداً .. انه طبيعة الحياة ، والذي لا يشارك في هذه الطبيعة .. انسان أناني ؟!

ـ قلت : ولماذا أناني ؟.. هل الانزلاق على الهواء منفرداً متعة ، ويجب أن يشترك من

يحبه في هذه المتعة ؟!

● قال : بالضبط !

ــ قلت : طيب .. أليس كل واحد يستطيع أن ينزلق بمفرده ؟

● قال : اذا لم يكن يحب لا يستطيع (!)

ـ قلت : عجيب !. اذن كلكم تحبون !!

● قال : أليس هذا موطن القمر ، والقمر هو ملاذ العشاق والمحبين ؟!

ـ قلت : يا قمر تسلم لي عينك !!

● قال : اذا أردت أن تعود اليّ ثانية فلا تحضر منفرداً ـ وحدك ، فسأرفضك !! لا أريدك صحفياً بورق فقط !

ـ قلت : لكني جئتك وفي صدري قلبي .. وفي قلبي وجداني كله !

● قال : هذا لا يكفيني .. فأنا أعبر عن « طموح » الحب والمحبين !

ـ قلت : سأنادي الآن تحت ضيائك :

هلت ليالي القمر .. تعال نسهر سوا .. في نور بهاء

***


واحد مجنون ...
جدا





واحد مجنون .. جـــدا

ـ « مجنون وأعطوا له حجر » !

قول قديم من الأقوال الشعبية التي تعاقبت جيلاً وراء جيل .. حتى استقر ذلك القول عند قدمي هذا الجيل النابت .. كما « الفول النابت ! » ، ولا أقصد الجيل النابت في حدودنا الاقليمية فقط ، بل في كل العالم .. العالم مليئ بالجيل النابت ، وهذا طبيعي ، وصفات الجيل النابت : الابتكار والنزوع الى الجديد ، وهذا مطلب .. وتصرفات هذا الجيل مجنونة ، شاذة ، متمردة .. تكسر ، تجنح . توغر أشياء كثيرة في النفس ، وهذا هو الواقع الغريب !

والجنون .. هو موضة العصر الحاضر .. الجنون موضة .. ولو !!!

وفي مجتمع المجانين يقولون للذي يبدي تصرفات غير لائقة : « خليك مجنون .. إيش بك عقلت » ؟!

***

ولا يتسرب إلى ذهنكم وظنكم ان السطور السابقة هي مقدمة حديث عن المجانين والعقلاء ، أبداً .. فهذا كلام لم أقله ، وإنما كتبته إملاء . أملاه عليّ مجنون أردت أن « استضيفه ! » .. وأردت أن أعقد معه في البداية صداقة حتى لا يضربني في النهاية لسبب من الأسباب : كثرة الأسئلة مثلاً ، أو « زلاقة » لساني ، أو تعرضي لشئونه الخاصة فيما لا يعنيني .. تصادقت معه على سنة مجتمع العقلاء ، وقلت له : ما رأيك في حديث نتناقش فيه حول مجتمعكم وطبيعته ؟

فسكت لحظات ، ثم قال : كل تلك المقدمة التي جاءت في أول هذه السطور !

ـ وقلت له : اذن نحن في اعتباركم مجانين ؟!
ـ قال غاضباً : لا .. نحن نرفض . أنتم عقلاء فقط . المجانين نحن بكل فخر !
ـ قلت : وماذا يشينكم لو كنتم عقلاء ؟!
ـ قال : تصرفاتكم يا عقلاء لا تغري المجانين أن يترسَّموها !
ـ قلت : ماذا يضايقك كمجنون في العقلاء ؟!
ـ قال : أشياء لا تحصى ، وبلاشى نشر الغسيل !
ـ قلت : لأ .. أنشره .
ـ قال : هذه إحدى طبائعكم الوحشة .. دائماً تنشرون غسيل بعضكم ، وبالذات الغسيل الوسخ اللي ما اتنظف !
ـ قلت : الله يسامحك .. لكن أنا صحفي « عاقل » أريد من « متحدث » مجنون أن يعرب عن مشاعره نحو العقلاء !
ـ ضحك وقال : قلبك طيب والله يا صحفي .. يعني لو لم تكن لك حاجة عندي .. كان ما استظفت تقرب بجانبي .. فضلاً عن أن تحدثني !
ـ بالضبط .. فنحن العقلاء نخاف المجانين .. أصل تصرفاتهم أحياناً تقتل !
ـ لا يا صحفي .. اللي يقتل هو خوفكم فقط ، لأنكم تخافون .. تقتلون غيركم وتقتلون أنفسكم !
ـ ولماذا نخاف يا مجنون ؟!
ـ الخوف يا عاقل سببه التكالب على الحياة .. على الأشياء التي نحبها ، وكل ما احببنا شيئاً أكثر من اللزوم خفنا حتى لا نفقده !
ـ قصدك تظهر لي أنك فيلسوف ؟!
ـ يا شيخ اتلهي .. يعني اللي عندكم في كل العالم دا فلاسفة ؟!.. افرض أنا معاك أنهم فلاسفة ، ولكن الا تقولون عنهم مجانين .. عندما لا يعجبكم رأي من آرائهم ؟!
ـ بالضبط !
ـ شيئ ثاني .. أنتم تقولون أن العبقري مجنون ، فلماذا تعطون أبرز انسان ، وأنظف عقل ، وأذكى ذهن صفة الجنون . أليس الجنون إذن قمة الذكاء واللماحية والثقافة ؟!
ـ تقصد : من فمكم أدينكم ؟!

ـ لا يا صحفي .. فنحن المجانين لا يهمنا أن نقنعكم .. بقدر ما يهمنا فعلاً أن تقنعونا أنكم عقلاء في أكثر تصرفاتكم !

ـ طيب .. وايه اللي تدلل به على جناننا ؟!

ـ جنانكم ؟!.. إسحب كلمتك يا أستاذ بسرعة ، فقد قلت لك نحن نرفض انتماءكم إلينا .. أنتم عقلاء فقط !

ـ قلت : بس يا سيخ بلاش كلام فاضي .. يعني مثلاً فيه جماعة من الشبان في أمريكا اسمهم شباب « الهيبي » .. تصرفاتهم شاذة ، مسلكهم فاضح ونتن ، تقاليعهم تقزز النفس .. فهل نعتبرهم عقلاء ؟!

ـ قال : نعم .. عقلاء مائة بالمائة ، فالمجانين لا يفعلون تلك التصرفات .. إنهم على الأقل إن فعلوا شيئاً ترون فيه سخفاً ، فهم قد فعلوه بتبرير ومنطق .. يعني واحد مجنون يقذف عاقل بحجر لأن العاقل آذاه ، ولو لم يؤذه أحد ما قذف الحجر ، ولو لم يصادف حرباً نفسية من عشرائه وأهله ومجتمعه ماكان اتجنن أصلاً .. انتو يا عقلاء تجننوا القرد !!

ـ قلت : وإيه يضايقكم مننا أيضاً ؟!

ـ قال : إدعاءكم العقل ، وأنتم لا عقلاء !

ـ مجانين يعني ؟!

ـ لأ .. بأقول : لا عقلاء . أبحث لكم عن صفة أخرى تنطبق على حالتكم ومسلككم ، فالمجانين في قمة عقدتهم النفسية لا يفقدون إنسانيتهم والرحمة في قلوبهم !

ـ معليش .. قل لي ماذا يضايقكم ؟!

ـ وما تزعل ؟!

ـ ولو .. أزعل ليه ؟!

ـ إسمع إذن .. أنتم العقلاء تقفون على ظهر قرش كبير في محيط لانهائي ، وتحسبون أنكم تقفون على يابسة !

ـ عجيب .. كيف ، أفادك الله ؟!

ـ تسخر ؟ .. ان تعاملكم ـ بعضكم لبعض ـ يقوم على الخداع ، وعلى القوة ، وعلى الخوف ، وعلى المنطق الذي يبحث عن اللا منطق !

ـ وأنتم .. على أي شيئ يقوم تعاملكم ؟!

ـ يا صحفي يا عاقل .. يوجد كاتب « عاقل ! » أصدر كتاباً من زمن طويل عنوانه « عقلاء المجانين ومجانين العقلاء » واسم المؤلف أحمد أمين ...

ـ قاطعته قائلاً : أحمد أمين تريد أن تطعن فيه أيضاً .. كل شيئ مباح الا الكتَّاب والمفكرين .. لا أسمح لك أن تطعن في عقولهم !

ـ ضحك وقال : مفكرين ، كتاب .. ان كل من في عالمكم (العاقل) يكتبون وهم ينشدون الجنون !!

***



واحد قاسي ...
جـــدا





والمرقاسى ... جـــدا

لابد أن رأس انسان هذا الزمان .. هو كما الكرة الأرضية : يدور حول نفسه .. يبتدئ من نقطة . ويقطع مسافة طويلة وعسيرة .. ليكتشف في النهاية أنه عاد مرة أخرى إلى نفس النقطة !!

والسبب .. سؤال حائر ، ومتورط في غياب الحلم ، وفي غربة العواطف ..

سؤال .. كالشراع المبحر فوق محيط عاصف ، والإنسان تحت هذا الشراع يديره يمنة ويسرة .. ينشره ويطويه .. يدفع به الى منطقة الموج ويحاول أن يسترجعه بعد ذلك .. ثم ينكسر المركب في النهاية ، ويغرق العمر !!

فالناس يبحثون عن الحنان ويتحدثون عنه .. ويتصرفون بشراسة وملل .

والناس .. يومضون كالبرق في الليالي المرعدة ، ولا يهتمون بميلاد الحياة الجديدة .. بالغد ..

والناس أضاعوا اخوانهم .. لم يعد الإنسان يتعرف على حزنه ، وإنما أصبح كل ما يشعر به الانسان هو الألم المحسوس .. كأن يسيل دم من حادث سيارة .. كأن يخسر صفقة مالية أضاعت له مبلغاً من المال .. كأن يموت له عزيز أو قريب فيبكي عليه لحظات .. كأن يؤدي به خصامه مع الذين يتعامل معهم مادياً إلى السجن .. كأن يفقد عمله فيخاف من العطالة والحاجة !!

أما الحزن الغائب عن وجدان الإنسان .. الحزن الذي أصبح من العسير على الإنسان أن يتعرف عليه ، فهو : أن يفقد صديقاً له أمضيا معاً مشواراً طويلاً من العمر ، فإذا افتقده شعر أنه يحيا وحيداً .. ان يخسر تقدير الناس له واحترامهم وقيمته في نفوسهم . أن

يسمو بالالم المحسوس فيه الى حزن الحنان والتسامح مع الناس . أن يحس بكلمة الحب الصادقة تغسل وجدانه من شوائب الشهوات والرغائب والماديات .

فهل يكون السؤال هو : أي ميلاد للحياة الجديدة .. لباكر ؟!

ان محور السؤال له مسافة أوسع .. فالذي تتطلع اليه عيوننا نراه ونعجز أن نبصره ، والذي لابد أن تبصره أعماقنا من معاني الحياة تحول إلى ضباب في دائرة غير مكتملة . فعيوننا اتعبها الرمل القادم اليها من كثافة العواصف في نفوسنا ، وصدورنا أغرقها الزبد !!

ويضطرب « ديالوج » الحياة في نفوسنا .. فيفقد الحوار معانيه .. كأن ما نفكر فيه يأتي بلا تفكير ، وكأن ما نحسه يعاني من الانفصام فيه .. الانفصام بين ما نفعله ونتصرف به ، وبين ما يعيدنا الى انسانيتنا الأصلية المبعثرة مزقاً في حنايا الضلوع !!

فهل هذه الالتفاتة التي اكتبها .. تساق الى شكل المخاطبة أو الكتابة الرمزية ؟!

وهل هذه الملامح التي أحاول أن أرسمها بأبعاد الزوايا .. هي لا أكثر من أسلوب يحاكي اللون الشعري ، أو الشاعري في حواري هذا ؟!

كأنني ـ وحدي ـ أقف في ميناء الشجن ..

كأنني خارج عصري ، أو أن عصري يخرج من رأسي كما طلقة الرصاصة .. وأخر صريعاً مضرجاً في الحزن .. فالحزن دمي !!

كأنني قادم من بحر .. مجداف من حنين ، ومجداف من صفعة ،،

فكل القسوة أن تكتشف عواطف الناس مطعونة بمادياتهم ، وتحاسب نفسك على الحياة !

كأنني شرارة تطوف حول قلوب الناس بحثاً عن الحب .. وترتد الي لتحرقني !!

والسبب .. هو لأن الكتابة تتحول الى وصف لنهاية القرن العشرين ولا تنطق .. السبب .. هو لأن الحوار بين إنسان وآخر يتحول إلى موقف ساخر أو حتى كوميدي .. لأن ما بين الاثنين المتحاورين متناقض .. محتد .. متوتر .. يمتلئ بالفصام .. لأن لكل واحد رغبة ، ولكل واحد مصلحة مادية ، ولكل واحد أنانية مستقلة !

انها طفرة المجتمعات في مراحل انتقالها من قدرة الى قدرة أكبر ، ومن امكانية الى امكانية أكثر تطوراً وتبدلاً ، وتصبح مجتمعات القرن العشرين أكثر تعاسة إذا كان كل واحد لا يفهم ما يفهمه ، أو يؤكد معرفته لما لا يعرفه !!

فإذا التفت الى صديق لك وقلت للناس : هذا أعز صديق .. فستفاجأ أن الكثير من الذين عرفتهم وعرفوك يقولون لك : ما شاء الله .. ونحن السنا أعزاء لك ؟!

ويتحول هذا الموقف إلى حكاية ، وتجريح ، ولوم ، وإشاعة متطورة ! لماذا ؟!.. لأن بعض الناس يبحث عن الحكايات .. يبحث عن أسرارك أنت ، ويدفن أسراره في أعماق المحيط وحينئذ « تصبح الدموع أملاً » .. كما قالت أنثى مشهورة !!

وهذه الدموع الأمل حكاية ترويها تلك الأنثى التي دخلت من أبواب الفن إلى الشهرة .. فتقول :

● أنني أخشى أن أبكي فيلتفت لي أحد رجال الدعاية ، ويضعون دموعي في بنك الدعاية . وتخرج من الصحف مقالات وقصص وحكايات وأحزان يلتذ لها كل الناس ، وأنا لم أعد أرغب في هذا ، فالجمهور كالأطفال يتعرضون للخديعة .. لا يعرفون أن الحزن هو الصديق الوحيد للفقراء جداً .. الذين أصبحوا أغنياء جداً ..!!

***

ولكن الأكثر صعوبة وقسوة من انسان على انسان آخر .. هو قسوة النفس على صاحبها .. صعوبتها في العودة بانسانيتها ... الى المعانى المبعثرة فيه . هو تخبط الحوار الداخلي بين الإنسان ونفسه .. فإذا عجز الإنسان أن يسأل نفسه : لماذا فعلت هذا .. ولماذا سأفعل ذاك ؟! فذلك يعني أن الرغائب والماديات قد تسلطتا على إرادة الإنسان التي تعينه لكي يفكر بعمق ، ولكي يحس بصدق !!

وتقترب مني هذه الصورة التي تشكلت من حوار بدأته ذات مساء مع إنسان أعرفه ويعرفني . ونجد صعوبة وقسوة بالغة في أن يفهمني وأفهمه . فلقد رأيته ذلك المساء يتكئ بخده على كفه وهو ساهم مشتت الفكر .. وتركت صوتي يتسلل ببطء الى سمعه فسألته :

ـ « هيمان يستدني السحاب » ؟!

ولم يرد .. كأنه لم يسمعني ، فطرقت سمعه ثانية أقول :

ـ « الحب في الأرض بعض من تصورنا » .. إلى أين أبحر بك التصور ؟!

ولم يلتفت نحوي .. كان صوته يتلفت حوله وهو يجيبني :

ـ حب ايه ؟!.. احنا فاضيين للعبث ؟!

ـ قلت : خطير جداً .. هل استطعت أن تعيش الآن بلا حب .. هل الحب عبث ؟!

ـ قال وابتسامته تزداد اصفراراً : لا يوجد الآن حب .. ان ما تراه أمامك لا أكثر من مساحيق ، ووسائل صناعية ، واقنعة .. فالمساحيق جعلت الشمطاء كما راكيل وولش ، والرموش الصناعية حولت عيون اليابانيات الى المعنى القائل : « قتلننا من حيث ندري ولا ندري » .. حتى الأظافر التي تعجبك لمعانها والوانها ، وخربشتها أحياناً .. صناعية أيضاً !!

ـ قلت : لكنني أقصد الحب بين الضلوع .. الخفقة . الحنان الذي يقربك من الناس ويقربهم اليك . الإنسانية التي تزيد الوشائج متانة ، والعلاقات الإنسانية صفاء !

ـ قال : أنت مسكين .. انزل الى الشارع واصغ قليلاً .. الكل يشتم الكل . وأنت تمشي بسيارتك يشتمك واحد يحاذيك بسيارته ، سائق التاكسي يشتمك لأنك تتقيد بالتسعيرة ، بائع الخضار والفاكهة . السباك والذي يصلح المكيفات .. الناس .. الناس أصبحوا يتعاملون بالشتيمة .. كأنها بطاقة تعارف .. بدلاً من أن يمد يده ليصافحك .. يمدها ليصفعك !

ـ قلت : ليس كل الناس بمثل ما تصف .. هناك الناس !

ـ قال : هل أعطاك أحد الناس بطاقة مكتوب عليها اسمه ورقم تليفونه لأنك لطيف ، ومهذب ، ووارع ، وتحسن الكلام والأفكار الجديدة ؟!.. لن يحدث هذا .. أما لو كنت صاحب مصلحة ـ بزنس ـ فلابد أن جيوبك ملأى بالبطاقات !!

ـ قلت : لكني ألاحظ أنك ساهم ، فكأنك حزين ؟!

ـ قال : واذا لم أكن حزيناً فبماذا تصفني ؟!

ـ قلت : أنت متألم ، والحزن أسمى من الألم .. الحزن حينما يكبر يتحول إلى لذة ، وغاندي يقول : ابتغوا اللذة في الألم !

ـ قال ساخراً : تستحق أن أصفر لك .. كأنك جائع وترسم رغيف خبز على ورقة فتشبع !

ـ قلت : أحياناً يتملكني هذا الاحساس ، أو هذا الشبع !

ـ قال : لا تقنعني أبداً ان الفلوس لن تكون كل همك !

ـ قلت : ليست كل همي ، ولكنها بعض همي لأشبع ، وأتحرك ، وأنسج حياتي التي أريدها ،

ـ قال : ماذا تقصد .. الا أفعل أنا مثلك ؟!

ـ قلت : أقصد أنني لا أجعل « بعض » همي هو « كله » .. فالبحث عن الرزق واجب للحياة وللكرامة ، ولكنني لا أجعل هذا الهم يدمر وجداني ، ويعبث بعواطفي ، ويمسخ انسانيتي كسلوك مع الناس ... فلا أرى الا نفسي !

ـ قال : انها ضريبة التطور .. تطور الحياة ، وتطور المطالب والرغائب ، وتطور نظرتك كإنسان للحياة !

ـ قلت : نظرتي الى الحياة .. ليس من وسائل تجسيدها ان انسى كيف أحب ، وأن أنكر من حولي من أصدقاء وأهل وواجبات ، وان أخبئ أصالة النفس فيما أضافته اليها الرغائب والماديات !

ـ قال : انت عاطفي رومانسي .. انت تحيا الأحلام !

ـ قلت : كارثة ممارسة الحياة أن يدفن الإنسان أحلامه . خذ اقرأ هذه العبارة في الجريدة التي أمامك !

ـ قال : وما الذي تحققه الأحلام ؟!.. الفلوس تحقق الأحلام . أما الأحلام فلا تحقق شيئاً أبداً !

ـ قلت : لأن أحلامك فقيرة ، أو لأنك عاجز أن تحلم ، فالفلوس تعطيك الكثير ، ولكنها ـ وحدها ـ لن تعطيك الحب .. ستجعلك تنسى الناس .. تنسى قلبك .. تنسى أحلامك .. فتتعكر نفسيتك كبحيرة مليئة بالطحالب !

ـ قال : لماذا تكره الفلوس .. الأنك فاشل في تنميتها ؟!

ـ قلت : انني لا أكرهها كثيراً ، ولا أحبها كثيراً ، ولكنني أكرهها بمقدار ، وأحبها بمقدار .. بمعنى انني لا أجعلها كل همي ، والا فقدت انسانيتي ، وفقدت مجتمعي ، وفقدت محبة الناس !

ـ قال : الفرق بيني وبينك أنك تحلم بغضب ، وانني أغضب بحلم .. فحتى الآن احتملك وانت تثرثر وتشتمني .. ماذا تريد أن تقول ؟!

ـ قلت : بدأت تقول كلاماً جميلاً ، ولكني أخالفك .. فالذين يحلمون قد يغضبون من تصرف سيئ .. من كلمة جارحة ، اما مثلك فانه يتوتر ، والتوتر ليس فعلا وإنما مرض نفسي . دعني أهدئك قليلا ، فأريك عبارة الأنثى « غادة السمان » في هذه الجريدة ..

تقول : « ربما كنت حالمة بمعنى انا فاعلة ، وحين أفقد قدرتي على الحلم أفقد قدرتي على الفعل المبدع . إنني استميت كي لا أفقد قدرتي على الحلم . كل ما حولي يحاول اغتيال هذه القدرة » !

ـ قال : تقصد ان الذي لا يحلم لا يستطيع أن يفعل شيئاً ؟!

ـ قلت : الآن بدأت تفهم !!

ـ قال : تطلب مني اذن أن أشبك كفي خلف رأسي وأسنده عليهما ، وأبحلق بنظراتي في السقف ، وأغمض عيني ، وأحلم بمليون ريال ، فأفتح عيني وأجد المبلغ بجانبي على السرير ؟!

ـ قلت : ولماذا تبدأ حلمك مباشرة بالمليون ريال .. هل يكون همك كله ، وأمانيك كلها ، ورغباتك في الحياة في المليون ريال ؟!

ـ قال محتداً : نعم يا أخي .. بالمليون ريال أبدأ مشروعي الذي خططت له .. أقصد الذي حلمت به حسب تعبيرك ، وهذا المشروع سينجح بالمليون ريال ، وسأتزوج أجمل أنثى ، وأؤثث لها أجمل سكن ، وأنجب أطفالاً حلوين جداً ، ويكبرون في هذا العز ، وعندما أموت يجدون حياة رضية من بعدي !

ـ قلت : ياه .. حياتك قصيرة جداً !!

ـ قال : كيف .. ماذا تقصد ؟!

ـ قلت : غيرك .. ربما رضوا به وحمدوا الله عليه .. تزوجوا نساء هن في نظرهم جميلات .. اذا لم يكن جمالهن في الخلقة ففي الخلق ، وأنجبوا أطفالاً يرونهم أجمل أطفال العالم ، وسكنوا وتمتعوا ، وضحكوا ، وسبحوا في البحر ، وسافروا وشاهدوا العالم ، وكلما وضعوا رؤوسهم على الوسائد ناموا بسرعة .. بلا « فاليوم » ، فهل كل هؤلاء تعتبرهم تعساء ؟!. انهم سعداء جداً بشيئ واحد .. بالحلم ، انهم لم يفقدوا القدرة على مزيد من الأحلام .. قنعوا برزقهم ، ولكنهم يسعون في أرض الله بحثاً عن تنمية مواردهم ، ولكنهم أثناء بحثهم لم ينسوا شيئين هامين : أن يحبوا ، وأن يحلموا .. يحبون مجتمعهم ، وأهلهم ، وأحباءهم ، وعشيرتهم ، وأطفالهم ، وبيوتهم ، وأفكارهم ، ويحبون القراءة والموسيقى ، والسفر ، والابتسامة .. ويحلمون بما هو أجمل ، بشيئ يحبونه ولكنهم يريدون أن يطوروه .. ان يزيدوه حلاوة وبهجة .. أما انت فإذا حلمت فستحلم بشيئ لا تعرفه .. لم تمتلكه ، وهذا هو

الفارق .. حياتهم طويلة جداً ، أما حياتك فقصيرة جداً ، ففي امكانك أن تحصل على المليون ريال وتموت .. أما هم فيعيشون حياة طويلة بالنظرة للحياة على أنها متعة وعمل !!

ـ قال : ولكن .. أليس من حقي أن أفكر في تنمية مواردي .. في حماية فلوسي من المتربصين بها ؟!

ـ قلت : من حقك طبعاً .. ولكن دعني أوضح لك صورتك هذه التي لا تراها في المرآة مهما كانت مرآتك لامعة .. فأنت تجري طوال النهار وراء الصفقات والفلوس والمشاريع ، وأنت في المساء تجتمع بكثير من أصحاب المصالح المرتبطين بمصالحك ، فاذا تهيأت للنوم طار من جفنيك .. لأنك تجلس لتفكر في عشرات المواضيع ، وتنام بالقسر .. بحبة « فاليوم » ، فما هو ايحاء السعادة التي تشعر بها ؟!

ـ قال ضاحكا : تقصد .. ان أبحث عن أنثى أحبها ؟!

ـ قلت : الحب ليس بحثاً .. الحب اكتشاف ، ومفاجأة جميلة .. ان تكتشف عواطفك .. أن تسمع دقات قلبك ، ليس كافياً أن تضع بجانبك امرأة جميلة وتقهقه قائلاً : انني أحب ، فأنت تكذب على نفسك ، ففي امكانك أن تبدل تلك المرأة بغيرها مراراً ، ولكن من الصعب جداً أن تبدل قلبك إذا عشق .. لحظتها تكفيه امرأة واحدة فقط بكل نساء الدنيا ، ولحظتها تكفيك أنت همسة حب ، وكلمة حنان تهزج بها خفقاتك ، وابتسامة رضا تنعكس على وجوه من حولك من مجتمعك وأهلك وأصدقائك .. وذلك هو الحلم الجميل . ألم تسمع بانسان سعيد كان يضحك بفرح ومسرة .. ثم يغمض عينيه ويقول : يا سلام .. كأنني أحلم ؟!

ـ قال : وما الفائدة إذا قال « كأنني » .. هذه ليست حقيقة مجردة ملموسة !

ـ قلت : نصف الحياة حلم ، ونصفها الآخر حقيقة ، والحقائق المجردة الملموسة تتحول بمرور الزمن من احساس الى معلومات لا أكثر .. ولكنك في اللحظة التي تغمض فيها عينيك لتحلم .. فلابد أنك ترى عالماً من الضياء والشعور ، ولابد أن هذه الرؤية هى بصيرة الاحساس ، فالإنسان ليس عقلا وحده ، وليس عاطفة وحدها .. الإنسان مزيج متآلف من العقل والعاطفة .. من الأحلام العطرة التي تبحر به فوق زورق من الرؤى والأماني .. ومن الحقائق الملموسة التي تجعله يميز ويتعرف ويرتفع بسلوكه !!

ـ قال : انني أكرهك جداً .. أكرهك . أنت شاعر . والحياة لم تعد تحتمل الشعر .. كلها ماديات وحقائق مجردة ، وأنا أعيش زماني ، وأنت قادم من خارج الزمان !

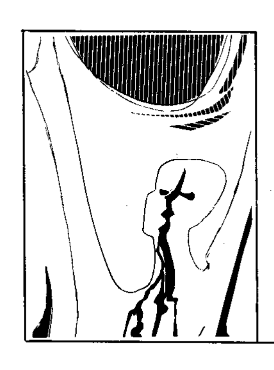
ـ قلت : مادمت تحس الآن أنك تكرهني ، فهذا شعور .. بمعنى أن شيئاً هاماً فيك قد استيقظ !!

* * *



واحد منى ..
جدا





واحد مضيء .. جـــدا

إنها رؤية جديدة سرقتني من أمواج النفس .. أخذتني الى شواطىء تمنح الهدوء وتغتسل في الضوء ..

تركت الوهم يتعرى ويتطوح ، ويغرق بعد ذلك منتحراً !!

إنها محاورة بين شفتي الحياة .. عندما تكون للزمن بسمة ، وللعمر رؤية ، وللخفق وجيب يعلو فوق تحديات الألم ، والعجز وغموض الجنون !!

إنها ذات ليلة .. همس فيها الشجن ففاض على خفاقي النفس ، وتبلور البوح نبراساً يشق ضياؤه انكسارات الظلال المتكدسة .. فكان الحوار بين اكتشافات النفس وبين حدودها .. كان الحوار بين إلحاحات الصعوبة ، وبين سيادة الاحساس !!

● كان الابتداء سؤال : هل أنت متأكد من صدق ما تحدثت به شفتاك ؟!

ـ جواب : إنني أشعر به نوراً يبدد غربة النفس التي قد يعانيها المرء زمنا .. عندما ينبت الضياع في « مقر الحواس » وهذا الشعور لايكذب ... ذلك أن الحواس لاتقدر على هذا الارهاق المكثف بدواعي الاحتمال للحاجة في الحياة !

● سؤال : قد يكون الوهم نوعا أو إنعكاسا لشعور بـ« الايروسية » أو ما فسرته أجيال ما بعد اليونان بأنه : (الرومانسية .. الممزوجة باليأس والالم والمرارة) ؟!

ـ جواب : لقد تفاعل بها شعور الانسان فجعل منها حياة مرغوبة .. بمعنى أن التأمل هنا ليس مرضاً وانما هو صحة رؤية .. تؤكد أن « الانتظار هو الامل دائما » .. ثم تتخطى هذه النظرة حدودها .. فيصبح الشعور هو حياة لابديل لها . التركيز على صورة معينة . إن الامل يتسع ولاينهزم وانما يزداد ويشمخ .. المعاناة المجسدة في الدمعة ، وفي العشق وفي سيادة العاطفة ، وفي محاورة العقل .. كل ذلك يؤدى الى حصيلة من اليقين ، ومن الامان ،

ومن التعمق في العطاء !!

● سؤال : لنقترب قليلا .. نحاول أن لانخلد في الوهم .. ذلك أن « بروست » يقول فيما قرأت له : (إن العواطف وهم من الاوهام) فأنت لاتثبت إحساسا واضحاً ، ولكنك تتمادى في الوهم وتعتقد أن شعورك يتحدث ، ولكن هذا الصوت هو رغبتك فقط ، او استئثارك لمتعة وقتية ينصرم بها وقتك الفارغ .. فتسمى ذلك عاطفة !

ـ جواب : ان يتعذب الانسان من أجل فكرة .. هذا ليس عاطفة فقط ، وانما يقين بهدف كبير يسمو في الروح ويتعاطف مع الرؤية النظيفة ، ويتمازج مع القدرة الانسانية في أعماق الانسان لكي يحقق بعض ماحُرم منه ، وبعض ما ينتظره بالأمل ، وبعض ما يشعر بفقدانه من حياته .

ان تفجير القدرة على البذل لايمكن أن تكون حالة ، أو وهماً أو غروراً عاطفيا .. بل تصبح مشقة إثبات أن توجد فرصة مخبأة في الأمل او محتجبة خلف العجز !

● سؤال : إنك تحاول اقناع الاصغاء لك .. لوجدانياتك .. لفكرتك التي تناصرها من اجل أن تغنم شيئا لاتعرفه ، لكنك ـ ما يدريك ـ ربما اذا عرفته نفرت منه ، وقذفت به كالنواة وأحسست أن هذا الذي اكتشفت لا أكثر من تجربة خضعت لوقت معين ، وتبددت معه ؟!

ـ جواب : ان هذا الخوف هو محاولة بلا شك للقفز فوق اليقين .

ان تكهنات الانسان متشعبة .. هي الحيرة وهي الاضطراب، وهي الرغبة ، وربما كانت هي العاطفة .. غير أن التصرف في الخوف هو حسي .. قد تقوده « التلباثية » ـ الحاسة السادسة ـ وبالتلباثية يحمل الانسان أشياءه فوق طاقتها .. يضخم الاشياء ، ويدعها تتحدث بصوت السعادة تارة وبصوت اليأس تارة اخرى .. أي أن الانسان هنا محكوم بالتوقع ، وهذا لايقود الادلة الى مزيد من العطش .. لقد قيل : « ان كل مايصنعه الانسان في الحياة محاولات لحل ألغازها .. لعله يصل الى السعادة في النهاية » !!

● سؤال : لكن ، كيف نبلغ حدود السعادة ، وأهدابنا مبللة بالدمع .. كيف نصل اليها ونحن نعايش الاعياء ؟ إننا نحلم كثيرا ونتصور هناءاتنا في اختلاسات للفرحة نفعلها ونرضى بها ، ثم نعود الى شيىء يسمى« مشقة إثبات أنه لايوجد » ؟!

ـ جواب : ولماذا نقتنع بأنه لايوجد ما تستلهمه الروح في ماديات الحياة الكثيرة ؟!

ان التوافق بين متناقضاتنا عسير حقا .. ولكن بالامكان أن نحول التناقضات الى

اكتمال آخر في رؤيتنا .

بمعنى ان نجعل المحاولة متحركة ..

والاستلهام إثبات،

والتضحية خطوة في طريق اليقين !

● سؤال : إنني أقرأ عليك هذه العبارة المنقولة : (هل قرأت قصة الثعلب الذي أراد أن يصل الى العنب فلما أعياه الوصول اليه قال هذا حصرم) ؟!.. أخاف على رؤيتك ان تتشوه، او أن تصطدم بالتعرى ، أو بالحقيقة .. لحظتها لاتقدر أن تستفتي وانما أنت تتخذ قراراً صارما يشرخ الحب ويصدع مشاعرك ويحيل التجربة عندك الى مجرد خطوة فقط ؟!

ـ جواب : أقول لك شيئا :

ان العجز ليس هو الحقيقة ..

وان الاكتشاف غير الشعور ..

وان الحب لايكون الآمرة واحدة .. فاذا أحببنا لانقدر أن « نفاضل » ، أو نتوقف ، او أن نبدل الانطباع الاصيل .

أعطيك مثالا للاستمرارية ولليقين:

هذه « أوتا أو نيل » زوجة شارلي شابلن منذ عام ٤٣ .. أحبته ، وترسخت في ضلوعه ، فكان عمره أربعة وخمسين عاما ، وكانت في الثامنة عشرة .. لكن الرؤية كانت مكتملة وكانت أصيلة .. زوّجها الحب ، وحافظ عليها معا ، وأنجبا في إطاره ابنتهما « جيرالدين » وسبعة أبناء بعدها .. ولم تختلف الصورة ، ولم تبهت !!

وبعد هذا الزمن تزحلقت « جيرالدين » في كرسيها ، وقالت : « ان مايدعو للدهشة والسعادة ان ترى والدين كأبى وأمي يحب كلاهما الآخر بهذه الدرجة من الجنون .. إنهما لايفترقان ولايغضبان كأنهما في عالم غير عالمنا » !!

● سؤال : لاتتحدث عن اللذين غطّا شفاههما في النبع .. كيف تكون « سيد عواطفك »؟!

ـ جواب : بأن تكون عواطفي هي سيدتي ..

إنني بذلك أبلغ اليقين ..

وحينذاك لا تقدر التلباثية أن تكذب ، وإنما هى تتفاعل بما في إحساسك من عطاء ، ومن غنى .

● سؤال: كيف تعطى وأنت عاجز ؟!

- جواب : عندما أستطيع أن أعطى ينتفى عجزي .
ان الحياة معان ، وليست حكاية تبتدىء وتنتهي !!
ان الموت لا يشكل النهاية دائما!

● سؤال : هذه هي « الايروسية » أو الرومانسية .. كيف تضعنى قريبا من الماء وتطلب منى ان لاأعب وأشرب ؟!

- جواب : انه لا أحد قادر على منعك ، ولكن المطلوب منك أن تفعل بارادتك، وبخطوتك ، وبمساحتك !

إنه لاشيىء يبدو ممنوعاً في الحياة ، ولكن توُحد اهتماماتك هو السحر ، وهو الايجابية !

● سؤال : هذا كلام نظري ، انه خيال عظيم .. فهل تطلب مني أن اطوع الحياة للخيال ؟!

- جواب : هذا جدل منك .
ان الخيال يتسرب الى أغلب تصرفاتنا ، ولكنني لا اطلب منك هنا أن تتخيل ، وانما لابد أن تنتضى آلامك وتجليها وتحركها .

لابد أن تتخذ خطوة ايجابية .. إما أن تتقدم ولاتلتفت الى مايقال ، وما ينتج ، وما يتحول الى رواسب .. واما أن تتجمد وترضى بما أنت فيه ، فلا تطالب بما هو مرهق لاحتمالك ، وبما هو فوق طاقتك !

● سؤال : ماذا تقدم للحياة إذن ؟!

- جواب : أقدم لها وقوفي ، وإصراري ويقيني ،
وبذلك سأكسيها قيما ، ولغة ، وشعورا .
إنني أقدم احتراقي لأشعر بالضوء .. هذا يقين وحصيلة !!!

***

وكانت التفاصيل تبدو « مناسبة » لاأكثر .
إن ما يملأنى ويعطيني هو الأبعاد والدخائل ، والماورائيات .
انني لا أتعب من الانتظار ، ولأن تحديقي لا يصيبه الاعشاء والترمد ، سيطول الوقوف .. فالمساحة متسعة بالأمل وبالحب وباليقين .. وسيكون !


واحد صياد...
جـــدا





واحد صياد...

جـــدا

تذكرت صوت « البلان » وهو يزعق في الفلاة قائلا :

ـ أنا صياد .. هايم في البراري !!

لا أدري .. هل هو هايم أو كان يمشي طبيعيا ، أو يتقافز .. أعرف فقط أنه في البراري ، ولكن ليس كل الصيد في البرارى ، وان كان أمتعه هناك ، وكان يصيد الطير ، وأسود الضوارى ـ كما يقول ـ وهذه الصورة تقزز ، فالطير لا أحب ان أراه « صيداً » . إن مجاله التحليق والتغريد ، والطير نشاهده .. نستمتع بمتعة تحليقه !

وطردت « البلان » لأصغى الى صوت آخر .. كان يغني في عصر الخطف ويقول :

ـ « رمشك خطفني من اصحابي وانا واد صياد » !

فليس كل صياد هو دائما صاحب صنارة .. انه احيانا في داخل الشبكة ، او معلقا في صنارة ، وأعجبوامن « الواد » الصياد الذي يصطاده رمش . فيصرخ: (اوعوا تحلوا المراكب وانا حاطط رجلي في المية) !

وغاب صوت الصياد « المجدع » الذي قال : صياد ، ورحت اصطاد صادوني .

وشعرت بنفسي .. كنت أجلس قرب البحر ، على الشاطئ ذات اصيل !!

هنا .. صيد البحر ايضا .

البحر ـ وحده ـ أوحى لي بفكرة هذا « الأستجواب » الذي أجريته بعفوية ، فانا في « سنارة » أفكارى في « شبكة » التأملات التي غذاني بها البحر .

الصيادون يختلفون ...

هناك صياد أسود ، وهو ليس أسداً ، وصياد صقور ولايحب الا أن يتوارى ، وصياد « طيور » ولايحب الغناء والا لما صاد الطيور !

وهناك صياد في الماء العكر ، وصياد « حوت » .. أقصد الذي يصطاد الاشاعات ويروجها ، وكلامه كما نقول في تعبيرنا الشعبي : كلام « حوت . » ، وصياد سمك لايحب رائحته حين قليه !

ومن زمن بعيد ـ كان ياما كان ـ حكاية قرأتها عن صياد في بلاد الله الواسعة قام فجر يوم ، ومعه شبكته على باب الرزاق الكريم وقضى يومه كله في البحر ـ وفي البحر لم فتكم في البر فتّوني ! ـ قالتها له زوجته التي هرعت اليه في البحر من البر تقول له : الأولاد جاعوا وليس في بيتنا دقيق !

فحمل شبكته ، وأتجه الى المدينة ، وهناك باع الشبكة واشترى غذاء لبيته ، وفي اثناء عودته مات بالسكته القلبية ، والعمر واحد ، والرزق على فتاح الابواب . تزوجت التي فقدته برجل آخر : صياد مال وفلوس ، وجمال ، فقد كانت حلوة كما القشدة !

وانتهت الحكاية .. والكتاب الذي قرأت فيه هذه القصة لم يكتبوا عليه : قصص للأطفال !

وخلصت من تذكري ، و« سرحتى » فاذا بي أبصر رجلاً « أسمراني اللون » لم تره شاديه بعد .. على كتفه شبكة صيد ، وبين يديه « بيعة » سمك يلمع من القشرة برغم ان الوقت غروب و .. « فزيت » واتجهت اليه :

ـ اسمع ياعم .

ـ يا مرحبا .. تراه سمك طازة جديد ، وما هو خايس .

ـ ليه .. السمك يكون فيه خايس ؟!

ـ اذا بات .. اذا تركته وما رعيته ، وما حطيته في الثلاجة . يخيس !

ـ زي كل شيئ !

ـ ويش؟!

ـ لا .. بأحكي مع حالي ، قل لي .. انت صياد ؟!

ـ أجل ..

ـ ومبسوط ؟!

ـ الحمد لله يا ولدي .. ربك ما يقطع ، ويسهل .

ـ اسمك ايه ياعم؟!

ـ شوف عاد .. إنت تبغى تشتري ، والا تعطلني؟!

ـ لا .. إعتبر « البيعة » بثمنها من نصيبي !

ـ لا .. ثمنها من نصيبي ، والبيعه لك !

ـ لا والله يقظ ياعم .. إسمك ايه !

ـ اسمي فجحان !

ـ عاشت الاسامى .. وكم سنة وانت صياد ؟

ـ إصبر (واخذ يعد على أصابع يده !) . .

ـ انت ذاكرتك ضعيفة ياعم فجحان ؟

ـ انا أنسى السنين .. أفكر في يومي بس !

ـ عال .. واقعي ، لكنك كبير في السن ، ولابد انك صياد « عتقى »

ـ عتقي يعني ايه ؟

ـ يعني صياد من زمان ؟

ـ ايه بالله .. عشرين سنة .. حول كده !

ـ طيب ، وطول السنين دى مافكرت تبطل « الصيد » ؟

ـ ليه أبطل .. دا طريق رزقي ، وانا لا اعرف صنعة غيرها .

ـ قل لي .. كم تكسب في اليوم تقريبا !؟

ـ ياولد الحلال ، ويش دخلك انت ؟

ـ لا .. هوا الموضوع .. أعني : هل يمكن ياعم فجحان أن أصبح صيادا مثلك ؟

ـ (يضحك) : لاحول ولاقوة الا بالله .. انت صياد ؟!

ـ الله يسامحك .. ليه ما أملأ عينك ، والا يعني شايفني نحيف وحالتي ما هي حالة صيادين ؟!

ـ لا يا ولدي .. نحيف لا .. كثير صيادين كماك ، لكن إنت غني ولابس نظيف ، وحاطط ناضور على عينك ومعك سيارة !

ـ اسمع ياعم فجحان .. خلينا نتبحبح كده !

ـ يعني كيف ؟

ـ يعني لا تتكسف منى ، ولا أضحك عليك !

ـ طيب .. نشوف الآخرة !

ـ تيجى ياعم فجحان تلبس ملابسي وتخليني اعمل صياد .. اقوم بعملك واحد يوم بس ؟

ـ بس ياولدي أنا ما أعرف اكتب وانت تشتغل في الحكومة وتعرف تكتب .

ـ ما يهمك .. روح اشرب شاي، ما هو كثير موظفين بيعملوا كده !

ـ وبعدين ؟!

ـ بس تعلمني كيف أرمي الشبك .. كيف اعرف المناطق اللى فيها صيد .

ـ بعقلك .. تعال معى في البحر أوريك !

ـ لا .. إلاّدى .. عبد الوهاب ما يحب الطيارة وانا ما احب البحر !

ـ مين عبد الوهاب؟!

ـ عمي .. عمي ياعم فجحان !

ـ ها .. وافقت !

ـ لأ .. بس كده ـ نظريا ـ اتعلم !

ـ لأما ينفع !

ـ بطلنا .. أصلك تحب عملك كثير ! طيب قل لي ..

ـ ويش بعد؟!

ـ لما يكونوا سمكتين في البحر مع بعض .. ممكن تصيدهم سوا؟!

ـ لما يكونوا صغار (أصل الشبكة عندي صغيرة) !!

ـ طيب والسمكة الكبيرة الثقيلة .. كيف تشدها وهي في داخل الشبكة ؟!

ـ الصياد لازم يكون يقدر على الصيد !

ـ إنت بتقول حكم ياعم فجحان !

ـ والله ما أدري انت ويش تقول !

ـ طيب .. لما تصيد سمكة ما تتأسف على صيدها ، وانها تموت ، ويأكلها الناس ؟!

ـ كيف .. مخبول إنت ؟!

ـ لأ .. مانى مخبول .. بس قل لي .

ـ أصيد السمك لأنه دا رزقي ، وتالي الكلام ان السمك للصيد وحلال اكله !!

ـ إيه ـ.. أصبح فيه منطق في الموضوع ! طيب .. ما يحدث إنك تلاقي سمكة خايسة في

البحر على طول ؟!

ـ يحدث .. بس أعرفها على طول، وأرميها !

ـ وليش ترميها .. ما هي كمالة البيعة .. زيادة فلوس !

ـ لا ياولدي .. ربنا ما أمر بكده .

ـ حلو .. تعجبني اخلاقك .

ـ بعدين .. الخايس يعدي البقية !

ـ طيب ياعم فجحان .. انا أخّرتك .. خذ قيمة السمك وهات البيعة وربنا يرزقك !

ـ اسمع .. انت ليه تكلمت معي كثير ؟!

ـ لأ .. اصلي طفشت من الكلام القليل .. حبيت أرغى !!

ـ تراه سمك جديد ما غشيتك ..

ـ روح ياشيخ الله يسهل لك .. ما هي كلها سمك !

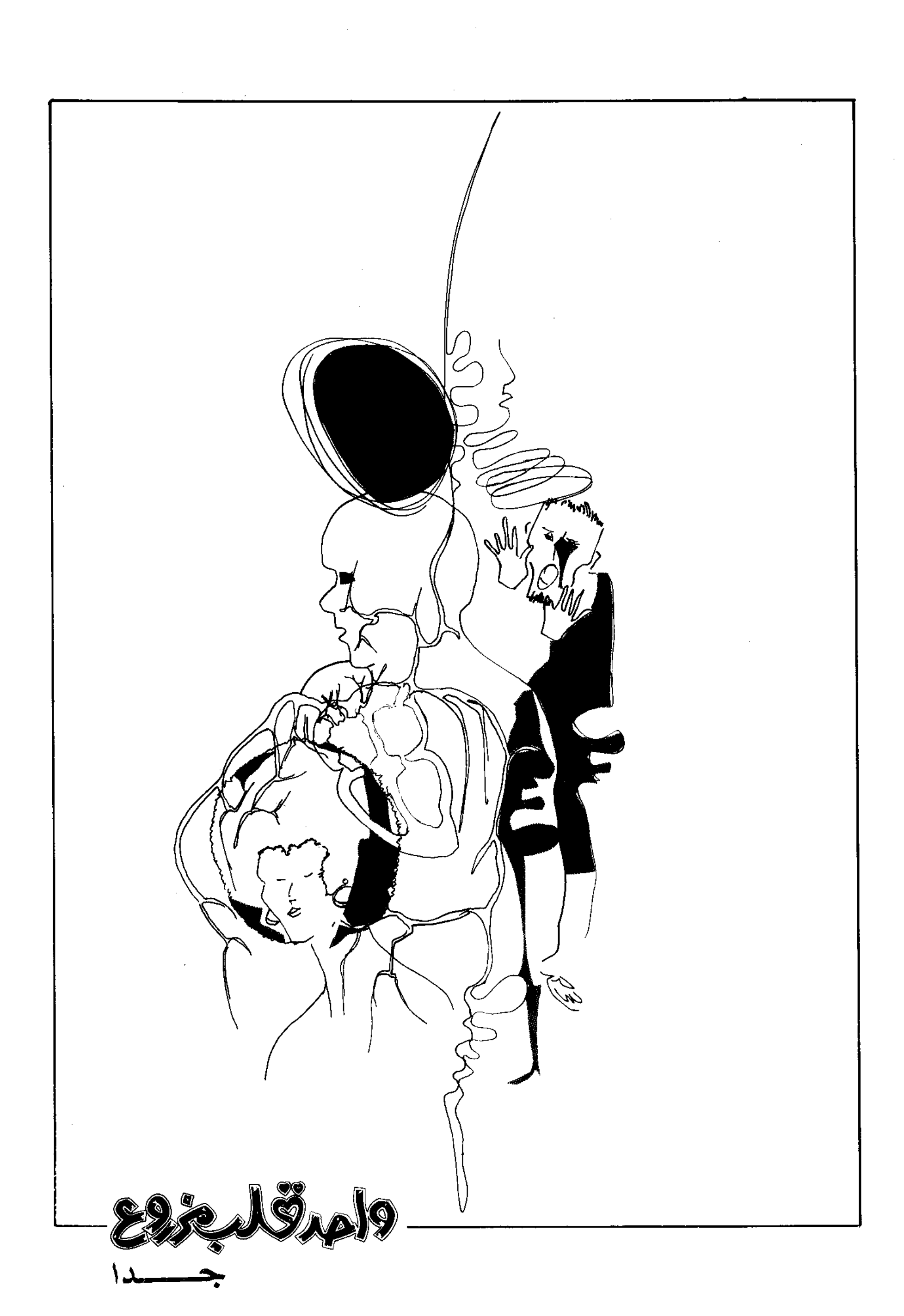
ـ يعني ايه ؟!

ـ يعني رايح آكل سمك .. وأسمع سمك ، وأضطر أقول سمك .. بس ما هو على طريقتك .. بامان الله !

وقلت في نفسي: ولا على طريقة همنجو اي في روايته « العجوز والبحر » !!

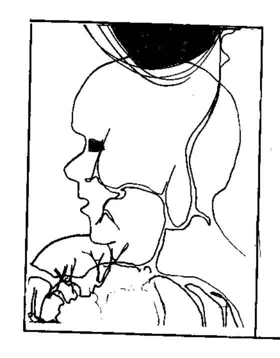
***





واحد قلب مزروع

جـــدا



واحد قلب مروع ... جـــدا

كان طبيب الأسنان اليهودي .. يتجول في حديقة المستشفى بـ « كيب تاون » ..
كانت ملاحظات الناس عليه أنه دائم الابتسام ، لكن يده دائماً أيضاً كانت على قلبه .
يهودي .. ومن الضروري أن يتشبث بالحياة !
إن اليهود لا يهمهم أن تنتزع من صدورهم قلوبهم .. لأن الاحساس منعدم فيها .
ولكن عندما يكون القلب هو السبب الرئيسي في الموت والحياة فانه يحرص عليه « كجهاز » يعتبر المركز للدورة الدموية !
« واشكانسكي » من قبله : زرعوا له قلب الفتاة التي انتهت حياتها في حادث تصادم ، ولم يمت بالقلب .. وإنما بشيئ آخر مات !

والإنسان بكل ما فيه من تناقضات ، وعنعنات ، وعيوب ، الا أنه ولوف .. يتولع بقلبه ، ويتدله قلبه في داخله .. فيحب بقلبه ، ويحب قلبه .. لذلك عندما زرعوا « لواشكانسكي » قلب فتاة .. لم يتحمل قلبها عفونة ضلوع « واشكانسكي » .. ولم تتحمل ضلوع الرجل فورة قلب فتاة الخامسة والعشرين .. فكأنه صرخ وهو يموت قائلاً :

لست قلبي أنا اذن
إنما أنت قلبها !

كيف يا قلب ترتضي
طعنة الغدر في خشوع

وتداري جحودها
في رداء من الدموع ؟

ولم يكن جحود الفتاة ذاك ، وإنما جحود الحياة عندما تغدر بالشباب !

ومات قلب « واشكانسكي » المعار !!.. الا أن الذي شد انتباه العالم كله .. أن القلب المزروع في صدر طبيب الأسنان الذي بقي حياً .. انه قلب لم يلفظه جسد الرجل ، وإنما حدث ما يشبه التآلف والامتزاج .. قلب زنجي مغدور قتيل إستقر في صدر رجل أبيض !؟

إن هذا هو العجب !

ولهذا تسللت بخواطري ، وتأملاتي .. حتى وصلت الى حديقة المستشفى الذي ينزل فيه طبيب الأسنان بقلب زنجي ، وخيل الي أنني أراه يتنزه في الحديقة ويده على قلبه .

وبشفافية الرؤى ، والخواطر ، والتأملات .. اقتربت من قلب الزنجي المزروع على صدر الأبيض اليهودي .. ورأيت القلب المزروع ينبض بعنف ، وبعصبية !.. ان القلب ، كما يقول لأطباء والعلماء يخفق حوالي ٧٢ مرة في الدقيقة مدى الحياة .. ولكن خيل الى ان ذلك القلب يخفق ١٧٠ مرة في الدقيقة بسبب عنفوانه ، وغضبه داخل جسد اليهودي الأبيض .. وتطلعت الى « الأذين » الذي يستقبل الدم القادم الى القلب .. فرأيته نشيطاً في استقبال الدم ، وانتبهت الى « البطين » فراعني انه وهو يدفع الدم الصادر منه ـ كما المضخة ـ يدفع بشدة ، وظننت ان الرجل سيموت بسبب عنف هذه الحركات !

والعلماء قالوا إن جسد الإنسان هو الذي يرفض أى جزء دخيل عليه .. لكنني ـ كما قيل لى ـ اكتشفت أن الحكاية انعكست .. أعني أن القلب المزروع كان يناضل في داخل الرجل الأبيض ـ رافضا الالتئام بالجسد ـ غير أن العملية الجراحية الدقيقة جعلته يلتحم وان كان كثير الحركة .. موارًا .. عصبياً !

● لماذا أنت منفعل هكذا .. الآ يسرك أن تبقى نابضا .. يخرجونك من صدر قتيل مات الى صدر رجل يعيش ؟!

ـ قال القلب المزروع : انني رافض .. رافض . الآ تشم رائحة ضلوعه .. كأن هنا حظيرة للخنازير ؟!.. ان نفسية هذا الرجل ثعلبية ، وأنا لم آلف مثل هذه الحياة .. ان صاحبي كان صريحاً ، مرهف الحس ، غني الشعور ، والرجل هذا متبلد الحس .. تصور كم مضى على وجوده هنا في المستشفى ، وأنا مزروع في داخله ، وصحته تحسنت .. انه لم يحاول أن يقول لممرضة : أنت حلوه .. فهل هذا يستحق قلباً ينبض ؟!

● قلت : كيف انتزعوك من صدر صاحبك الزنجي ؟!

ـ قال وهو يتنهد : إيه .. حكاية ، لقد انتظم صاحبي في مظاهرة من المظاهرات المعروفة ـ مظاهرات السود التي تنادي بالعدل ، وشجب العنصرية ـ وكنت أنا في داخله أتفاعل مع رغباته الوطنية واللونية .. تأكد عندي أن صاحبي على حق .. نعم أنا أكره البيض أيضاً !

● قلت : لماذا ؟

ـ قال : لقد كاد أحد البيض مرة أن يقتل صاحبي ،وبالتالي يعدمني النبض .. انهم هناك يتحركون بايحاء من عقدهم النفسية ، وحقدهم على الملونين !

● قلت : أكمل الحكاية !

ـ قال : آه .. لقد خرج صاحبي في المظاهرة ، وجاءته الرصاصة من الخلف فسقط على وجهه مضرجاً بالدماء .. كانت الرصاصة موجهة اليّ أنا بالذات ، ولكن أخطأتني وان كادت تميتني لولا أنهم أسرعوا باجراء عملية لصاحبي ليس لأنقاذه من الموت ، وإنما لأخذ قلبه ـ أخذي أنا من صدره ـ وكان سبب موته تجلط الأوعية التاجية التي تغذي عضلتي ، ولو بقيت في صدره فترة أطول لتوقف نبضي !

● قلت : قل لي يا قلب .. هل أحب صاحبك الزنجي .. أقصد هل خفقت مرة بشدة وورطته في حب ؟!

ـ هدأ القلب المزروع نوعاً وقال : إيه .. دنيا ..! تصور لقد كانت هناك فتاة شقراء من البيض تجري خلف صاحبي .. ترجو وصاله ، وتأمل في وده وحبه . كانت ابنة رجل من البيض يخرج لقمع مظاهرات الزنوج وفي يده بندقيته ، ولكنها وقعت أسيرة حب صاحبي .. طاردته في كل مكان ، وكان يشيح عنها .. لقد تفاقم ـ أنا قلبه ـ حقدي على الأبيض ، فلم أنبض بحب لها . كانت في نظري كما فأر أبيض . لقد نبضت بحب فتاة ملونة من لون صاحبي .. كانت زميلة له في المصنع الذي يعمل فيه ، وكانت مضطهدة مثل صاحبي وتكافح معه ومع الملونين لتأكيد حقهم في الحياة .. لكن تلك الفتاة التي أحبها صاحبي بخفقتي أنا .. سقطت قتيلة في مظاهرة قبل سقوط صاحبي بيومين !

● قلت : وماذا فعل الفأر الأبيض .. أقصد الفتاة الشقراء ؟

ـ قال : لم تكن تعنيني كثيراً .. لقد ضاعت في زحام البشر !

● قلت : وكيف تجد الحياة اليوم في صدر هذا الرجل الأبيض ؟!

ـ قال : حياة عفنة .. ألم أقل لك ؟ ان إحساسه خاب ، كئيب .. انه لا يسمح لقلبه

أن يحب بل عوّد قلبه القديم على الحقد ـ كعادة اليهود ـ وهو أيضاً لا يسمح لقلبه أن يعمل .. بالقدر الذي يترك العنان لأفكاره أن تستطرد وهو يفكر في النقود والتجارة والثروة ، على الرغم من العتي في عمره !

● قلت : وما هو شعورك نحو زوجته ، وأهله ، وأحبائه ؟

ـ قال بابتسامة ساخرة : ان العلاقة الزوجية بزوجته يبدو لي أنها تبلدت من زمن ، من قبل أن يتعطل ويسوس قلبه الأصلي .. يخيل الي أنه يعامل زوجته كما يعامل أخته التي تكبرها في السن !.. ويعامل الناس كما يفحص مجموعة أسنان في الفم .. يخلط بينهم أحياناً فيقلع السليم ويترك المسوس المنخور !

● قلت : ولماذا لا تجعله يحس بروح جديدة .. أليست هذه وظيفتك ؟!

ـ قال : لا .. وظيفتي التي تقول عنها كانت خاصة بصاحبي الحقيقي ، أما هذا فيكفيه مني أنه يمشي ، ويتكلم ويعيش .. إن هذه الأنماط من الناس لا يهمها الاحساس كثيراً ، وإنما هي تتكالب على المادة ، والحياة ذاتها كحركة !

● قلت : أنت تحقد ؟!

ـ قال : أبداً القلوب لا تحقد .. ألم تقرأ بيتا من الشعر قاله شاعر من عندكم ؟!

● ماذا قال :

« اغضب فلولا الموج لما تكونت البحار !

كن عاصفا .. كن ممطراً ..

فان قلبي دائماً غفور »!

● قلت : نعم .. هذا شعر نزار قباني .

ـ قال : نعم .. وبالمناسبة ، يقولون ان هذا الرجل قد يحتاج الى قلب مزروع بعد فترة .. لأن قلبه قد استهلك !

● قلت : هل ترضى لو خيرت أن تستقر في صدره ؟

ـ قال : على أي حال .. هذا الرجل شاعر ، وفنان .. وليس يهودياً (!) .. ولكن ماذا تقول عنه بطلات قصائده عندما يعرفن أن في صدره قلب زنجي ؟!

واقتربت من القلب المزروع أقول له :

ـ ألم تسمع ما قاله الأخطل الصغير في قلب مثلك ؟!

ـ قال : هذا الشاعر الذي قتل قلبه بقلبه ؟!

● قلت : كيف ؟!

ـ قال : لكثرة ما عشق الجمال ! ولكن ماذا قال ؟!

● قلت :

أيهـا الخافـق المعـذب يا قلب
نزحـت الدمـوع من مقلتيا
افحتـم عليّ اهـراق دمعي
كلما لاح بارق من محيا ؟!

ـ قال : أرأيت .. كلما لاح بارق من محيا .. يهرق دمعه ، ويشجُن قلبه !

● قلت : وصاحبك .. الم يكن يحب الشعر ؟

ـ قال : بلى .. انه يحفظني شعراً حلواً .. لكن لا يمكن أن أسمعه لك الآن .. طالما كنت مزروعاً في صدر هذا الرجل المقعي في الحياة !

● قلت : أريد أن أسألك ـ انت القلب ـ متى يتحرك القلب ويحب ؟!

ـ قال : عندما يشعر أنه وجد خدينه وإلفه .. يتحرك ، وعندما يثق القلب بنبضه .. يحب !

● قلت : هذا كلام عادي .. كيف ؟!

ـ قال : عندما يجد الجمال الذي يغدق على النفس !

● قلت : الآ يحدث أن يحب القلب القبيح ؟!

ـ قال : يحدث .. أنا أؤكد لك ان قلب هذا اليهودي الحقيقي كان ينجذب الى كل قبيح !

● قلت : لماذا ؟!

ـ قال : لأنه قلب قبيح .. فهناك قلوب جميلة مشرقة فتانة ، وقلوب قبيحة كابية ، جاهلة ، والاّ .. هل هناك قلب فنان يرتضي هذه الزوجة الشمطاء ؟!

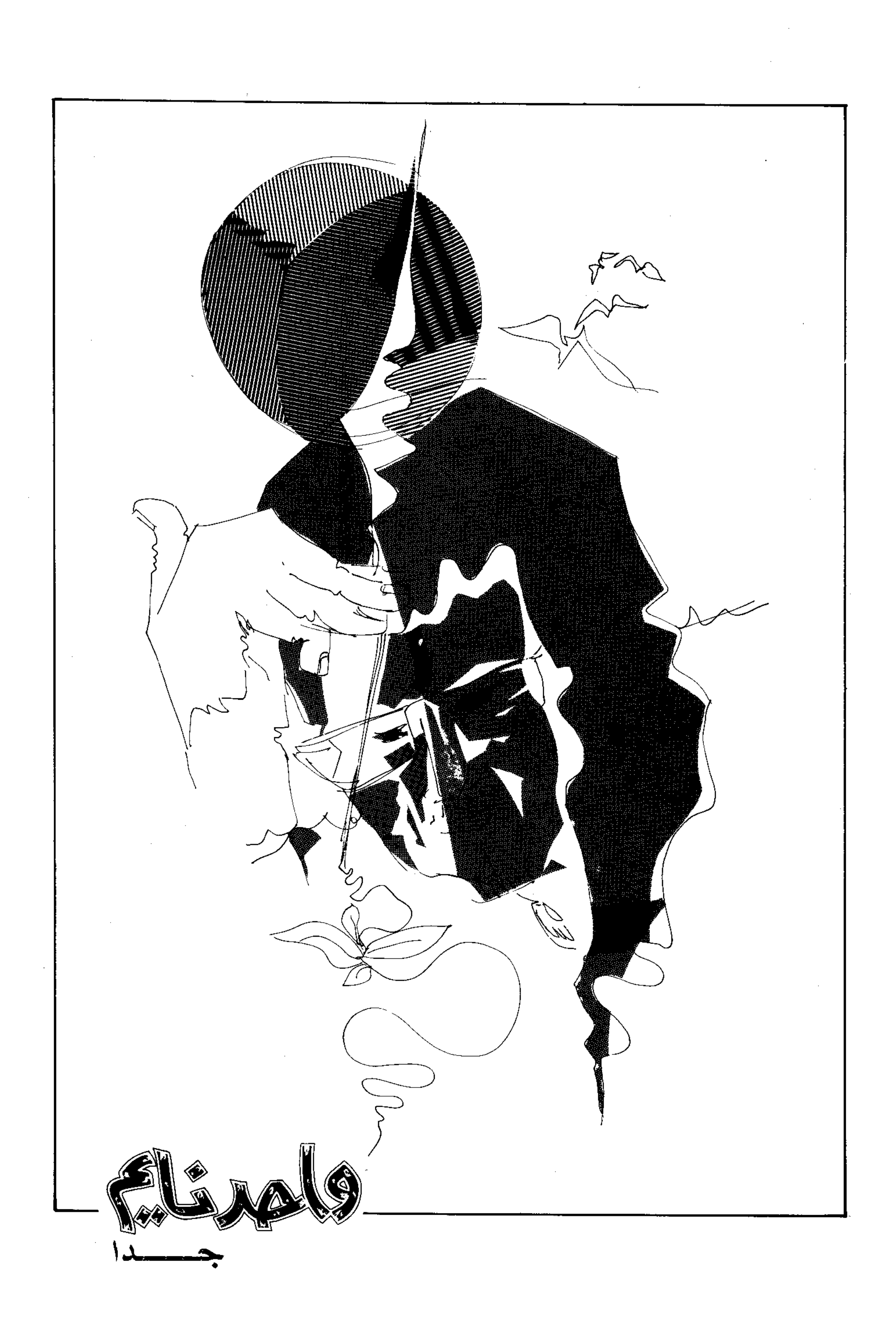
● قلت : ومتى يكره القلب ؟

ـ قال : القلب لا يكره .. إن الكراهية توحي بها النفس عندما تجفل من انسان !

● قلت : أخيراً .. ماذا تريد مني أن أتمنى لك ؟!

ـ قال : تمنى لي أن أستطيع القيام بمظاهرة داخل صدر هذا الرجل .. تؤثر على الدورة الدموية ، وتسد التجويفات هنا .. فأنا لا أستطيع أن أبقى .. الا في صدر إنسان يحب !




واحد نائم
جـــدا







واحد نايم جـــدا

● المكان : أرض الحنين .. خارج حدود الدنيا التي ملأها الإنسان نسيانا !

● الزمان : الوقت غير المنتظر .. القادم من خارج الزمن !

● الاضاءة : حزم ضوء قادم مثل موعد انبلاج صبح !

● الصوت : صدى .. له عدة أصداء !

● المناسبة : حلم طويل .. في نوم مستغرق .

● الحركة : هدوء يشمل المكان ، وكان هذا الصمت المخيم يصغي لهمسات متبادلة بين شخصين في صدر المكان .. احدهما يجلس « ركبه ونص » . ويميل نحو الشمال ، ويغطي رأسه بغترة ناصعة البياض مثل نصاعة بياض ثوبه ، وقد أطلق لحية خفيفة في لون الثلج ، وعلى شفتيه ابتسامة عريضة لا تبهت !

أما الشخص الآخر .. فقد كان يجلس متربعاً .. يضع كفيه مستقيمتين فوق ركبتيه ، وبعض أصابع كفيه يتحرك بشكل عفوي ، ورأسه يميل قليلاً نحو اليمين كأنه يصغي لمن بجانبه ، وقد تهيأ لضحكة خفيفة سيطلقها ..

ووجدت نفسي أقف أمامهما في منتصف المكان .. أقطع عليهما الحديث الهامس بينهما ، وقلت :

ـ السلام عليكما .

ـ قالا : وعليك السلام ..

ـ والتفت الأول يسأل صديقه بجانبه : ألا تعرف هذا المخلوق ؟!

ـ قال الآخر : وجهه ليس غريباً علي .. كأني أعرفه ، أو لعلني نسيت من هو !

ـ قال الأول : ياشيخ .. نقول عنك انك صاحب ذاكرة قوية .. بينما أنا قد عرفوني

صاحب ذاكرة أستيكية لا تتذكر !

ـ قال الآخر : أيوه .. هذا الولد كان « يشخبط » في الصحافة حينما كنا نكتب أنت وأنا !

ـ قال الأول : يا أمان الخائفين .. كيف لا تتذكره وقد كان معنا دائماً ؟!

● (كان الأول هو حبيبنا الذي رحل عنا قبل سنوات الأديب الشاعر الفقيه الأستاذ ضياء الدين رجب . أما الآخر : فهو أظرف من تحدث ، وأغزر من كتب ، ولم يحاول أحد أن يجمع أدبه في كتاب .. الراحل الأستاذ محمد مصطفى حمام) !!

ـ قلت لهما : سمعتكما حين دخولي تتهامسان ببيت من الشعر .. فهل هو الحنين منكما الى الشعر .. أم أنكما تتساجلان .. أم هي قصيدة جديدة لأحدكما ؟!

ـ قال ضياء الدين : انه تذكّر لبعض المواقف التي كانت لنا في الحياة ، أو هو الشجن الذي يجسد الحنين في صورة من صور الحب التي هدهدناها في أحاسيسنا يوم كنا نحيا بينكم ، وكان الزمان لم يزل يفيض بالوجد وبالحنان !

ـ قلت له : هل كانت القصيدة من ذلك السمت الذي كنت تسميه : » حَلَوْلَوْ » ؟

ـ قال ضاحكا : هذا المخلوق مازال يتذكر !

ـ قال حمام : يعني ايه « حَلَوْلَوْ » ، ما سمعتهاش قبل كده ؟!

ـ قال ضياء الدين : الحلولو .. هو الذي ماكان من القلب نابعاً ، والى القلب آيباً ، وهذا المخلوق لم ينس كلمتي هذه .. كنت أقولها له .. كلما أعطيته مقطوعة من الشعر .. مما أحسه صادراً من قلبي !

ـ قلت : وكنت أبادره بالسؤال كلما لقيته : أين الحلولو هذا الأسبوع ؟!

ـ قال حمام : يا ابني لا تتحدث عن الشعر الآن .. فأين هو الشعر اليوم الذي يقولونه ؟ اليوم بعكس هذه الحالة ، أو كأنه خطبة سياسية على منبر الأمم المتحدة !

ـ قال ضياء الدين : يا حمام .. لا يزعل منك هذا المخلوق !

ـ قال حمام : منذ متى أصبح يقول الشعر .. لا أعرفه كذلك ، ولكنه كما عرفته يكتب بنفس طويل كلاما منثورا ، وبالذات عن الأدباء !

ـ قلت له : حقاً .. أتذكر ؟!

ـ قال : إلا أذكر !.. دا يامبارك كتب عني مقالا ذات مرة شواني فيه على السفود !

ـ قلت له : ولكن بحب .. تذكر انني أحببتك مرة ، ثم لم أبدّل شعوري !

ـ قال حمام : فعلاً .. ولم أغضب منك يوم كنت تقول عني : نطلب من الأستاذ حمام أن يتوقف عن كتابة ذكرياته عن الحياة السياسية القديمة في مصر ، ويتجه للكتابة في الأدب والحياة التي نحياها . لم أغضب من كلامك هذا ، لكني يومها ظننت أن وراءك أحداً !

ـ قال ضياء الدين وهو يبتسم : هذا المخلوق لا وراءه ولا قدامه لكنه يعشق الشعر !

ـ قلت لهما : ما هو بيت الشعر الذي كنتما تردداته ؟!

ـ قال ضياء الدين : احزر !

ـ قلت : لابد انها رباعية عن « مي » من الحلولو !

ـ قال : سقى الله مي .. ابحث عنها فلابد انها في مكان قريب من هنا . فهل تذكر تلك الرباعيات ؟!

ـ قلت : واحتفظ عندي بواحدة لم تنشرها !

ـ قال : كده ؟.. هناك أشياء كثيرة لم تنشر يا عبد الوهاب !

ـ قلت : اسمي عبد الله .. فهل عادت اليك ذاكرة النسيان ؟!

ـ قال : عبد الله .. نعم ، وخوفي ان يضيع الكثير مما كتبت ومما لم انشره !

ـ قلت : اطمئن .. هناك من لا ينساك أبداً !

ـ قال : بنات الغالي المرحوم ابني حمزة ، وبناتي أيضاً !

ـ قلت : وبناتك أيضاً ، وأولادك الكثير الذين زرعت في صدورهم حب الحنان !

ـ قال : يا أمان الخائفين .. الحمد لله !

ـ قال حمام : لا تدخلونا في الذكرى .. فهى تعصف بنفسي وتضاعف شجوني !

ـ قلت : وماذا فيك أنت ؟!

ـ قال : كثيراً أيها الولد .. كل من تركت لهم اسمي !

ـ قلت : أنتم في اطمئنانكم هذا تتذكرون من تركتموهم في الحياة .. بينما الحياة تلف الناس بمشاغلها وهمومها وطموحاتها .. ولكن لا تقلقوا !

ـ قال ضياء الدين : الحياة محطة راحة .. يشغل الأحياء وقتهم فيها بالتعب .. بتصعيد الحاح الماديات فيها ، العبرة يا هذا المخلوق .. العبرة !

ـ قال حمام : اوه .. تقول لمين ، فالحياة غرورة لمن طاوعها !

● (ووضع الأستاذ حمام يديه على أذنيه ، واحمر وجهه ورديا ، وأخذ يدندن ، ثم رفع موالا عاليا من مقام السيكا ان لم تخني معلوماتي .. وانشد يمول :

يا جارة الايك أيام الهـوى ذهبت

كالحلـم .. أهـا لأيام الهـوى آهـا) !!

ـ قال ضياء الدين : فايق ابو الزغب .. حمام هادا مخلوق مأكول دائماً !

ـ قلت : هل هذا هو بيت الشعر الذي كنتما ترددانه ؟!

ـ قال حمام : ليس هذا هو البيت الحقيقي .. لقد تبدل .. وإنما كان أصله هكذا :

يام أم كلثوم .. أيام الهوى ذهبت !

ـ قال ضياء الدين : هذه القصيدة كانت أم كلثوم تضعها في صدر مجلسها مكتوبة على لوحة بخط بديع وتفخر بها ، فقد قال شوقي هذه القصيدة عن أم كلثوم وفيها ولها .. يا أمان الخائفين !

ـ قلت لحمام : ها هو ذكر شوقي قد ورد في حديثنا .. فهل مازلت تحب شوقي الى الآن ؟!

ـ قال حمام : هل هناك شعر يبذ ، أو يضاهي شعر شوقي في العصر الحديث ؟!

ـ قلت له : اوحشتنا !

ـ قال حمام مبتسماً : هو يا ابني محمد عمر توفيق شعبط الكلمة دي في بقكم وسابكم على الناس ؟.. انها كلمته او ركزته المحببة !

ـ قلت : هل لك ذكريات مع محمد عمر توفيق لا تنساها ؟!

ـ قال حمام : أُمَال .. دا كان ناوي يضمني وياكم !

ـ قلت : يضمك الى ماذا ؟!

ـ قال حمام : ازاى .. يضمني لصراحته .. كانت تعجبني صراحته الممزوجة بسخرية !

ـ قلت : لكنني لا أذكر أنكما التقيتما ؟!

ـ قال : يا سلام .. جرب واسألوا . دا كان حبيبي وكثيراً ما مسح الضيم عن جبهتي .

ـ قال ضياء الدين : « ذكرى » طيبة .. عن الناس الذين يعلمون الحب للآخرين ، فهل في دنياكم الآن هذا النوع الفريد من الصداقات ؟!

ـ قلت : لقد تغير الناس .. الأصدقاء ، أو هم قبض الريح كما يقول المازني !

ـ قال ضياء الدين : الصداقة أعظم ثمناً من الفلوس ، ومن الشهرة !

ـ قلت لحمام : دعنا نعود الى شوقي .. حبيبك ، فهل مازلت تتحدث عنه الى الآن ؟!

ـ قال : انه يذكرني بقدرتي ، وبحبي ، وبزمني الذي شعرت فيه بسعادة النفس في الوقت الذي لم يكن في جيبي مليم واحد !

ـ قلت لحمام : أذكر مرة انك كنت تكتب مقالاً تدافع فيه عن شوقي .. كنت تجلس في مكتب صحيفة البلاد بمطابع الأصفهاني ..

ـ قاطعني حمام قائلاً : الأصفهاني لم يعد يدبر المقالب لأصدقائه .. لقد كبر وأخذته مشاغل الحياة !

ـ قال حمام : الأصفهاني حبيب ، ومقالبه كانت ظريفة .. يعني مثل الملح في الطعام ، وبتلك المقالب كان يجمع الأصدقاء ويجعلهم يتفقون على شتيمته ، فأين الناس اليوم من هذه الألفة .. أين أمثال الأصفهاني من الذين يشيعون البسمة في الحياة وينتشلون الإنسان من انشغاله وهمومه ؟.. يا سلام .. الأصفهاني ده كتلة للمرح !

ـ قلت : هل اسلم لك عليه ؟!

ـ قال : سلم من بعيد .. مش عاوزه حداى أحسن يعمل هنا مقالب كمان !

ـ قلت : يوم كنت تكتب مقالك عن شوقي .. قرأت لي نماذج من الشعر وقلت لي يومها هذا هو الشعر .. بص شايف شوقي شاعر بأي حجم ؟.. فقلت لقد قرأت الشوقيات ولكني لم أجد فيها هذا الشعر !.. فقلت لي : مؤكد انك لم تحفظ .. راجع يا ابني الجزء الثالث ، وراجعته فلم أجد ما قرأته لي ، وعرفتك يومها .. فقد كنت ـ في الزنقة ! ـ تؤلف شعراً تقلد فيه نهج شوقي .. مثلما كنت تكتب خطب مصطفى النحاس كما قلت لنا !

ـ قال حمام وهو يضحك : فوِّتها يا ابني .. دا انت تسأل عني زيدان ويبقى يحكي لك !

ـ قلت له : ولماذا لا أسأل عنك ياسين طه مثلاً ؟!

ـ قال : آه .. لا تثر مواجعي .. ياسين طه ده أعطاني حباً لم أجده عند أهلي . كتب عني كثيراً ، وكنت اسميه العبارة الخبيثة الفاتنة ، وكثيراً ما أسعدني .. إنما هو فين ؟!

ـ قلت : في بيته .. لقد هجر الكتابة للأبد !

ـ قال حمام : لا أظن .. تلاقيه زى الديدبان بيكتب في البيت ، ويرمي في الصندوق ، ده كان يموت لو ما كتب .. إنما انتوا مزعلينه ليه ؟!

ـ قلت له : احنا مين .. وليه نزعله ؟!
ـ قال : انتم بتوع الجرانيل .. هوه فيه حد يسيب الراجل ده كده مفلوت على نفسه ؟!
ـ قلت للحمام : انه يرفض أن ينشر !!
ـ قال ضياء الدين : يا أمان الخائفين ..
ـ قلت لحمام : حدثني عن الشعر كشعور وتفاعل في داخلك ؟!
ـ قال : « لا يولد الشاعر فحلا .. بل هو ـ ككل كائن في الوجود ـ ينبت صغيراً ثم ينمو ، وقد عناني حينا من الدهر أن أعرف المحاولات الأولى للذين صاروا شعراء أمجادا ، ولم أبلغ من هذه الأمنية الا القليل .. لأن مؤرخي الشعر وناشريه لم يعنهم هذا الأمر ، وانك لترى أولئك المؤرخين ، أو الناشرين يروون بعض ما قال الشاعر في صباه ، ولكنهم قل أن ينبئوك بشيئ مما نظم في طفولته !.. ومن هذا القليل البيتان اللذان قيل أنهما كانا من محاولات بشار الاولى :

ربابة ربة البيت   تصب الخل في الزيت
لها عشر دجاجات   وديك حسن الصوت

ـ قلت لحمام : ومازلت تصر على رأيك في الشعر الجديد ؟!
ـ قال : سيبك .. دا « تهجيص » .. دا عجز ، وعى .. دا .. كلام فاضي مزوق !
ـ قلت : وذكرياتك عن أيام الدراسة ؟!
ـ قال : « احد زملائي في مدرسة فارسكور الإبتدائية غاظني ببعض الشتائم ، فوقفت على كرسي وشتمته بالشعر ، ولم تكن سني تزيد على العاشرة ، والزميل الذي شتمته هو الذي أصبح بعد ذلك مستشارا في القضاء العالي صديقي محمد السعيد العاصي .. قلت له :

شتمي وانت فتى اثيم
نبعت من المآثم والمعاصي ؟
أخذت من اسمك العصيان حقاً
كذلك عرفت من دان وقاصي

وشكاني زميلي لناظر المدرسة ، وطلبني الناظر فأخذت أهبتي ، ولم يستطع زميلي حفظ الأبيات التي شتمته بها ، وقلت للناظر : لقد مدحته ولم اشتمه . قال : ماذا قلت فيه ؟.. فقلت :

تُلَقَّــبُ عاصيا والــكل يدري
بأنــك قد عصمــت عن المعاصي
ومــالك في اسمــك العــاصي نصيب
ولــكن انــت للشيطــان عاصي

ـ قلت لحمام : لقد توفيت في الكويت .. فهل كنت مريضاً ؟!

ـ قال : أنا متوفي من زمان ، واللي كان عايش بينكم وجداني وذاكرتي !

ياه .. الله يرحمني بقى . إنما هناك بيت أذكره ولا أطيق نسيانه

وكان لي فلــذة من حبهــم ، ولقد
جفو .. وما حفظوا من حبهم فلذا !!

● (وتركت الأستاذ حمام يجفف بعض الدمع المنسرب من مآقيه ، والتفت الى الأستاذ ضياء الدين) .

ـ قلت له : ما هو أحب انتاجك الى قلبك ؟!

ـ قال ضياء الدين : أحبه أحبه .. الرباعيات الحلولو .. ألم تكن تعجب بها ؟!

ـ قلت : فعلاً .. كانت نبع نفسك ، ولكن .. من كانت « مي » في أسعارك ؟!

ـ قال : أية مخلوقة جميلة وأصيلة ووفية لمشاعر الإنسان وتفهم الكلام الحلولو !

ـ قلت : متى كنت تصوغها ؟!

ـ قال : والله ما أدري .. يمكن بعد منتصف الليل .. يمكن بعد الظهر .. يمكن في الفجر .. أصلها بنت « جنِّيهْ » ليس لها موعد !!

ـ قلت لضياء الدين : و« قرن يتكلم » .. الذي كنت تكتبه ؟!

ـ قال : ليس هو القرن الذي يحمل الدنيا ، ولكنه القرن الذي حمل الى الدنيا ضياء من الحق ، ومن الحقيقة .. من النور ومن الايمان ، فقد كنت أكتب سيرة السلف الصالح الذين أهدوا للإنسان أعظم المثل والقيم !

ـ قلت : و« قطوف » ؟!

ـ قال : تلك أجمعها من أفواه الناس .. من الشارع ، والمجالس ، والكتب ، والسير .. أنت مخلوق ما تفهم ؟!

ـ قلت : أفهم .. إنما أريد أن تعطيني رأيك في النوادي الأدبية ؟!

ـ قال : مين دول .. عملوا ايه .. مخاليق والاّ بني أدمين ؟!

ـ قلت : يا شيخ .. دى نوادي أدبية من أجل أن تنشط الحركة الفكرية في البلد ، وطبع المؤلفات للأدباء والشعراء !

ـ قال : ما تقول لهم يطبعوا كتبي الكثيرة ؟!

ـ قلت : المفروض ، ولكن ..

ـ قال : لكن ايه ؟.. ما هو احنا بدون نوادي أدبية كنا نكتب الشعر والمقال والدراسة والبحث ، وبعضنا طبع على حسابه .

ـ قلت : إنما الآن أسعار الطباعة مرتفعة ، والنوادي الأدبية هى التي تحاول أن تعمل ذلك !

ـ قال ضياء الدين : طيب ليه أبو الصفهفه « الأصفهاني » ما يسوي مشروع زى ده ، والا ليه العمدة أبو الخياييط « عبد الله خياط » ما يخلي مطبعته تعمل مشروع أدبي ؟!

ـ قلت : تكلف كثيراً .. لأن سعر الورق ارتفع ، وكذلك سعر اليد العاملة ، والحبر ، وأشياء أخرى !

ـ قال مبتسماً : يعني النوادي الأدبية غنية ؟!.. خلاص ليه ما يطلعوا في كل شهر كتاب ؟!

ـ قلت : مزنوقين في البحث عن ادارة جيدة لكل نادي !!

ـ قال : فضها سيرة .. خلينا في الشعر أحسن !

ـ قلت : ما هى الرباعية التي مازلت ترددها حتى الآن من شعرك ؟!

ـ قال : آه .. تثير شجوني أنت يا هذا المخلوق .. يا عبد الوهاب !

ـ قلت : اسمي عبد الله .. هل نسيتني ؟!

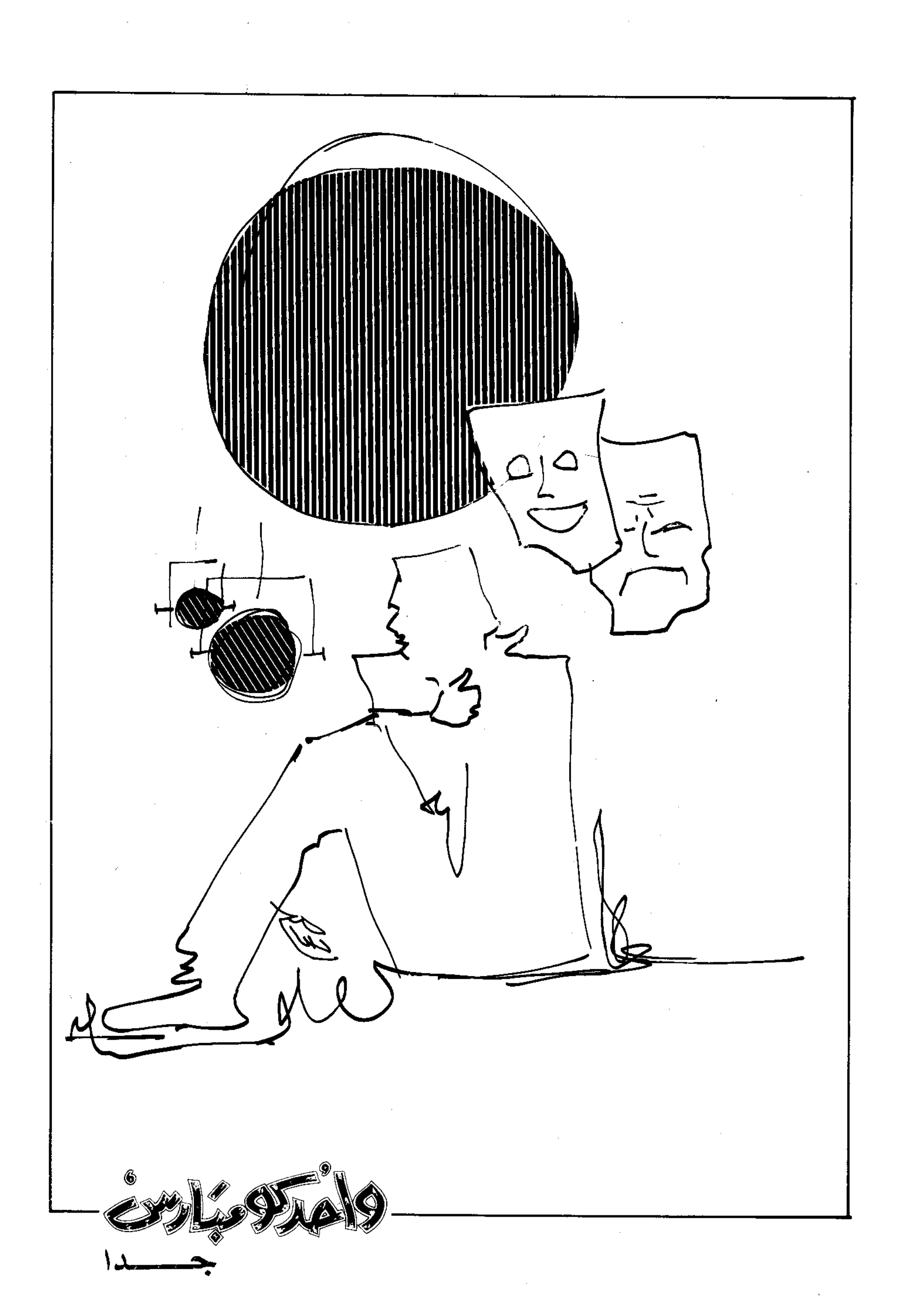
ـ قال : كله بدنجان .. اسمع الرباعية يا جفرفور :

لا تراعي .. فللثرى لمسات
حانيات يد السماء عليها
فالثرى أمَنا الرؤوم التي
تعرف من فر من يديها اليها

كان ملءُ العيون ثم توارى
وطوتــه فيمــن طوتهــم لديها
انمــا نحــن فوقهــا .. ظل رَحْلٍ
والمصـــير المحتــوم .. ملك يديها

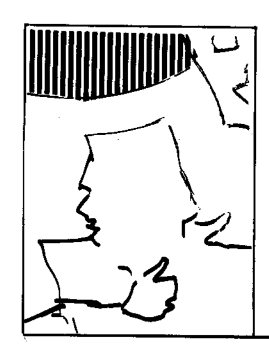
***





واحد كومبارس جدا





واُمدكو بنارسٌ

جـــدا

● المكان : نهاية خط طويل .. طويل !

● الزمان : الآن .. الآن وليس غداً ..

● الاضاءة : باهتة .. تتكثف من حولها الظلال !

● الصوت : مدبلج !

● المناسبة : اغماءة ، و« لمة » .. شخص ملقى على الأرض داخل بيته في حالة اغماء ، ومن حوله أهله ، وجيرانه ، وبعض الأعناق المدلاة من النوافذ يتساءل أصحابها : من هذا ؟.!!

● الحركة : أقدام تروح وتجيء .. وبعض أصحابها يسارعون بكوب ماء ، وبعضهم بنوشادر ، وبعضهم يقف مذهولا . كأن حركة قديمة لا تتوقف في مساحة المكان !

ووضعت فمي في أذنه أسأله حينما بدأ الحركة :

- هل أنت مغمى عليك بالفعل ؟!!

- قال : كما ترى .. وكما قال كل هؤلاء من الواقفين .. ألا تصدق ؟!!

- قلت : بعض المتحلقين حولك يسألون .. ماذا حدث ؟!

- قال : انهم يعرفون ولكنهم لا يعترفون !

- قلت : وبعض المدلاة أعناقهم من النوافذ لمشاهدتك يسألون .. من أنت ؟!

- قال : وأيضاً هؤلاء يعرفون ، ولكن لا يهمهم من أنا بقدر ما يقلقهم الذي حدث !

- قلت : وما الذي حدث ؟!

- قال : مشهد يصلح للفرجة لا أكثر !

- قلت : وموضوع الفرجة ؟!

ـ قال : أنا الموضوع والسؤال !

ـ قلت : مَن أنت .. ومن وضع السؤال ؟!

ـ قال : أنا واحد « كومبارس » في رواية الحياة ذات المشاهد المتعددة .. لذلك فان الذين سألوا : من أنا ؟.. لابد أنهم مثلي كومبارس ، ولكن أية رواية لابـد فيهـا من كومبارس لتكتمل أحداثها .. أبطال المسرحية وحدهم يعجزون عن آداء دور البطولة اذا لم يكن في المسرحية كومبارس !

ـ قلت : فانت رغم ما قلت انسان غير مهم .. انسان عادي لو مت الآن ربما وضعوا جثمانك في ثلاجة حتى يسأل عنك أحد ، أو تدفن بعد ثلاثة أيام ، فانت اذن لست موضوعاً مهماً ؟!

ـ قال : صحيح .. لكن دوري في المسرحية ككومبارس لا يقتضي أن أسقط مغمى علي .. من أجل ذلك أصبح اغمائي حدثاً ، وجاءت « اللمة » !

ـ قلت : والسؤال ؟!

ـ قال : السؤال شفاه المتفرجين ، وهو : ماذا حدث ؟!! ولم تكن الإجابة هي : مات .. لتصبح في روعة السؤال !

ـ قلت : وما هو الموت في فهمك له ؟!

ـ قال : ان يذكرك كل الناس !

ـ قلت : ولكنك لو مت ، فلن يذكرك أحد لأنك « كومبارس » .. شخص في ملايين البشر فوق الكرة الأرضية .. لم تخرج بفكرة جديدة .. لم تقدم عملاً انسانياً .. لم تبتكر ما يفيد الإنسان !

ـ قال : صحيح أيضاً .. ولكنك حينما تموت وأنت واقف تمثل فلابد ان هناك متفرجين .. هم الذين يجعلون موتك ذكرى !

ـ قلت : وأبطال المسرحية ؟!

ـ قال : انهم ينسون .. ليحفظوا أدوارهم في مسرحية جديدة يصفق لها المشاهدون !

ـ قلت : اذن .. ما هي الحياة ؟!

ـ قال : أن لا تذكر أحداً من الناس !

ـ قلت : ولكن القاعدة الاجتماعية تقول : ان الفرد جزء من الجماعة ، فلو اعتزلت

الناس أصبحت حياتك فراغاً وهشيما واصداء !

ـ قال : لو اعتزلت الناس فلن يسأل عنك أى أحد في هذا العالم الواسع .. المزدحم ، تصبح نقطة ضئيلة في محيط .. لأن التراحم والتوادد كانا صفة زمن مضى بآبائنا وأجدادنا .. أما اليوم ، فكل فرد في جماعة يقول لك : نفسي ومن بعدي الطوفان !

ـ قلت : انت متشائم وكئيب !

ـ قال : أنا واقعي .. عندما أقول « آه » أعرف أين أتألم .. فنحن نعاني الآن من آلامنا المحسوسة أكثر من آلامنا المجسدة كالجروح ، والحريق ، والبتر للأعضاء .. آلامنا التي تبدو مستعصية هى من نفوسنا .. ألم يقل الأطباء : ان أغلب الأمراض الحديثة ، وبالذات تلك التي يستعصى علاجها هى من الصدمات النفسية ، أو العاطفية .. أى من احساس الإنسان !

ـ قلت : ها أنت « تعرف » الكثير ، وتتكلم بمعرفة .. فلماذا اعتبروك « كومبارساً » ؟

ـ قال : لأنهم لم يروني في صورة مكبرة .. ان صوتي يصل اليهم كما المؤثرات الصوتية ، أو يصل اليهم من وراء وجه ، أو صورة ، أو مشهد .. أى انه صوت يصل الى أسماعهم مدبلجاً !

ـ قلت : وما هو حجم صوتك ؟!

ـ قال : صدى !!

ـ قلت : وما هو مداه ؟!

ـ قال : يتوقف ذلك على رغبة الأذن المتلقية للكلمة التي يرسلها صوتي .. حسب الأذن والرغبة !

ـ قلت : وما هى المسافة بين الأذن والرغبة ؟!

ـ قال : لابد ان تحددها « أمية » النفس ، أو وعيها ، وتحددها أيضاً القاعدة التي يقف عليها الإنسان المتلقي لأصوات الآخرين وهى تحمل مفاهيمهم ونواياهم !

ـ قلت : ومن وضعك في نهاية صف المجتمع ، أو صف الحياة ؟!

ـ قال : هكذا وجدت نفسي !

ـ قلت : ولماذا لا تحاول أن تتقدم الى الصفوف الأمامية ؟!

ـ قال : أسباب عديدة .. ربما قزمية صوتي ، أو فشلي في تنكب الأكتفاف ، أو عجزي

عن صياغة آخر كلام يقال دائماً ، أو ربما لقناعتي بمكاني ، أو انني أتساءل : من الذي يبقى في الصفوف الخلفية لو صعدنا نحن الكومبارس ؟!

ـ قلت : يأتي كومبارس آخر .. فالحياة يصعدها الإنسان من أول السلم ، والمهم أن لا تتوقف في مكانك !

ـ قال : ربما كان مكاني أفضل .. يريحني من أن اتلفت خلفي ويجعل نظراتي ذات اتجاه واحد فقط : الى الأمام !

ـ قلت : وما هى وظيفتك في الحياة ؟!

ـ قال : أنظف طرقات الآخرين ، وهنا أبصر نجاحي فقط !

ـ قلت : ولا تفكر في أية لحظة ماذا تريد أن تكون ؟!

ـ قال : عندما تكون راضياً عما تفعله .. فأنت بلا شك في المقدمة حتى لو كنت كومبارساً !

ـ قلت : اذن أنت قانع ؟!

ـ قال : أنا مرتاح فقط .. فربما كان عدم القناعة في بعض الأفكار أو المواقف هى شدة التعب والقلق !

ـ قلت : تعني انه « ليس في الإمكان أبدع مما كان » ؟!

ـ قال : الفرق بين الإبداع والعجز .. هو في القدرة !

ـ قلت : وما هى قدراتك لتبدع ؟!

ـ قال : الخوف !!

ـ قلت : الخوف تعتبره قدرة ؟!

ـ قال : ليتنا نحترم الخوف !

ـ قلت : كيف .. انك تثيرني ؟!

ـ قال : الخوف يا سيدي ليس هو الجبن كما اصطلاح الزمن الجديد ، أو المدنية ، وإنما الخوف يعني الحياء ، والخوف يعني الأخلاق ، والخوف يعني اتقان العمل ، والخوف يعني الرحمة واسقاط القسوة !

ـ قلت : ولكن ما قلته هو الثقة ، أو هو الادراك الكامل !

ـ قال : لا .. فعندما نغالي في الثقة ، ونغتر بالادراك .. نفقد الخوف من السفاهة ،

ونفقد الخوف من الانحلال والتفسخ ، ونفقد الخوف من اهمال العمل واللا مبالاة ونفقد الخوف من القسوة في الطباع والتعامل .. فنتحول الى أناس لا يقيمون وزنا للأواصر ، ولا للحب ، ولا للتوادد ، ولا للصفات الإنسانية .. فكأننا في غابة كثيفة منعدمة الدروب .

ـ قلت : ومن أجل ذلك تخوفت من التقدم الى الصفوف الأمامية ؟!

ـ قال : عندما يكون الإنسان وحده في غرفة مغلقة .. لن يكون هناك الا خيط رفيع ، وهذا الخيط الرفيع هو الذي يضيء النفس ، أو يكشفها ، فتظهر الحسنات والسيئات ، ويلمع الجمال ويتضح القبح . ويبدو ان الناس قد أخذتهم مشاغلهم عن رؤية نفوسهم من الداخل ، أو كأن عيونهم الى الداخل كما عيون تماثيل الاغريق حدقتها من زجاج لا يعكس شيئاً !

ـ قلت : ولكن هناك علماء أشاد بهم التاريخ ، خرجوا من الصفوف الخلفية الى الأمام ، وابدعوا ، ، واثروا في زمانهم ، الم تسمع مثلاً بموسيقار عظيم كان يغسل الصحون في مطعم مدينته ، أو بأديب شهير كان نجاراً ، أو برسام موهوب كان ارزقياً « صائعا » يعلك اللبان ويبصق في شوارع روما ؟!

ـ قال : إن حدود قراءاتي لم توصلني الى أخبار هؤلاء المشاهير . ولربما عاد أولئك الى الصفوف الخلفية ثانية للخلود الى الراحة مثل عاشق « سمبسون » الذي تزوجها مضحيا بامبراطورية كانت لا تغيب عنها الشمس ! ولكن يا سيدي .. لا يمكن أن تشبك ورقتين بمسمار .. كذلك لا يمكن أن تصنع بابا بالدبابيس !

ـ قلت : الدبوس قد يكون مسمارا لو كان الحقل الذي صنع منه في الآلة أوسع بعض الشيء .. ثم ان الدبوس يؤدي وظيفة ، ولولاه لضاعت أوراق هامة أو اختلطت ، ولكن الصعب أن يتضاءل المسمار فيصبح دبوساً !

ـ قال : أنا ضربت مثالاً ، فلا تحصره الى هذه الدرجة ، والدبوس مع هذا لا يصل الى درجة التأثير على ما هو مكتوب على الورقة !

ـ قلت : قل لي .. ما هو منطقك ؟!

ـ قال : هو الرأى الذي لا يصغي اليه الناس !

ـ قلت : كيف ؟

ـ قال : الا تلاحظ ؟.. ان الكثير من الناس لا يصغي الى العقل الآن .. أو ان المنطق

في آيامنا هذه لم يعد هو كلام الناس أو رأيهم !

ـ قلت : وما رأيك أنت ؟!

ـ قال : كثير من الأشياء التي لا قيمة لها .. أصبحت في عصرنا هي عمل ضروري ؟!

ـ قلت : كيف مرة أخري ؟!

ـ قال : لا بأس .. دعني استفزك ، ولكني أعطيك مثالا : ففي الأفلام التي نراها يحتاج المخرج عند تصوير منظر زحام ، أو معركة بالأيدي ، أو متفرجين .. الى مجموعة من الناس ، فيخرج الى الشارع ، و« يلم » عددا منهم ، ويدخلهم الاستديو ، ويطلب منهم ذلك المشهد ، ثم يعطيهم بعض المال القليل ، ويكتب النقاد : لقد كان المخرج موهوباً وذكياً ، وينجح المخرج ، ولا نعرف واحدا من المجموعة التي أدت اللقطة .. كذلك كما قيل عن حلقات « استيف اوستن » ان القفزات العالية التي نراها له يؤديها انسان آخر غير معروف حتى وجهه ، ويقبض القليل من الدولارات ، ويقبض البطل ستيف آلاف الدولارات وهو جالس يتفرج على بديله يتعرض للموت ، وقد مات البديل بالفعل ذات مرة !

ـ قلت : كل واحد يؤدي دوره في الحياة !

ـ قال : لم نختلف ، ولكني أفهم فقط ، وربما كان هذا الفهم هو راحتي ، او كآبتي أحيانا !

ـ قلت : لقد أفادتك التجارب الكثيرة حتي أصبحت تتفلسف !

ـ قال : قبل التجارب درست : غير أن محاولة اجادة كل الأشياء حتى الخبث قد خلفت عندي نوعا من التبلد !

ـ قلت : او ضح ..

ـ قال : عندما آرى الزحام أهرب منه الى طريق آخر.. عندما يمتلئ سمعي بالعديد من الأصوات اصمه وارفض الاصغاء واهرب الى مكان بلا صوت ، عندما تحوطني النظرات يخيل الي انها تشير علي .. لا تشير الي فأهرب الى الفراغ !

ـ قلت : كل مكان بلا صوت هو موت .. أو هو القبور !

ـ قال : أخطأت .. هناك أصدق الأصوات !

ـ قلت : لكنني أعتقد انك تعاني من مرض ؟!

ـ قال : ليس شرطا ، فأنا لا أحب أن آخذ كثيرا لأنني لا أكره الناس ، فالكراهية هى عندما يعتقد الناس أنك قد أخذت أكثر منهم !

ـ قلت : ما هو شعورك ؟!

ـ قال : ينبغي ان أحب كل الناس !

ـ قلت : والذين يكرهونك ؟!

ـ قال : ليس هؤلاء هم الناس .. بل هم الظلام ، أو هم اشباح الناس !

ـ قلت : كيف تعطي وتحب دون أن تأخذ شيئاً ؟!

ـ قال : اني أحفظ كلمة وجدتها في قصاصة التقطتها ذات يوم من امام باب البيت .. تقول : « اعط أكثر مما تأخذ .. في الحب غالبا لن تندم » !!

ـ قلت : ولم تندم ؟!

ـ قال : الوجه الآخر لتلك الورقة التي التقطتها .. مكتوب عليه : « ليس من الضروري أن تنال ما تشتهي .. يكفي أن تكون قادراً على ذلك » !!

ـ قلت : وما الذي حققته بتلك القدرة ؟!

ـ قال : اصراري أن محبة الناس ضرورة !

ـ قلت : وماذا تصنع بهذه المحبة ؟

ـ قال : أتقدم بها الى الصف الأول .. رغم انني أقف في الصف الأخير !

ـ قلت : واذا لم تجد المحبة عند الناس كلهم ؟

ـ قال : لن أندم .. لحظتها أشعر أن مكاني في الخلف يعطيني متعة المشاهدة الشاملة ، وبذلك أكون قد كسبت عقلي ، وحافظت على عاطفتي ، ونجوت من غروري !!

***




واحد ابتكارى
جدا





واحد ارتكاري

جـــدا

● المكان : انفلاتي .. لا جغرافية له ، وقد يكون كل مكان ، وقد يكون أي مكان !

● الزمان : عصر السرعة .. ثمن باهظ ، وقيمة كرتونية !

● الاضاءة : مذبذبة .. مزغلله !

● الصوت : لسان يتدلى من بين شفتين ثملتين !

● المناسبة : لا تخضع للتحديد .. قد تكون بالأمس ، قد تصبح الآن ، قد تأتي غداً !

● الحركة : شيئ ما ـ غير مرئي ـ يحدث نقراً على جدار الغرفة .. ربما .. كانت أصابع هذا الشخص ، وربما .. كان لسانه من شدة حدّته ، وكان يراني بظهره .. أما وجهه فهو ينطبع على « ظل » شيئ يتحرك في تخيله ، ويحاول أن يجسده :

ـ قلت له : اصدقني .. من أنت ؟!

ـ قال ساخرا : ليس لعيني شكل الجن ، وليس في صوتي نبرة صدى الكهوف ، وليس في سحنتي قبرا .. لكنني آدمي من هذا النمط المنسرح فوق الأرض .. أشكل زاوية في قاعدة الناس !

ـ قلت : هل تعلم أن القاعدة لا زوايا لها ؟!

ـ قال : ممكن أن نجعل نحن زوايا لها من وجهة النظر التي نريدها ، وبوحي الفكرة التي نتبناها ثم نحارب من أجلها حتى نبلغ حدود الخطأ !

ـ قلت : ولكنني لم أقصد بسؤالي من أنت أن تصف لي شكلك وتنفي الملامح والنبرة غير الإنسانية عنك ، وإنما أردت معرفة محتواك !

ـ قال : صعب أن أعرف محتواي في هذا الزمان ، فهو خليط متلاطم متناقض ، فأنت في

الصباح تمتلئ بمحتوى ما .. بشيئ يندرج في معنى الطموح ، أو الأمل ، أو القناعة ، أو السباق ، وأنت في بداية المساء قد تدلق كل ذلك ، وتمتلئ ببعض اضداده ، أو تمتلئ بالملل ، أو بالعدوان ، أو التعب ، وأنت في الليل تغرق في كل تلك الامتلاءات فتجدها أكثر من بقايا أمواج تدافعت في أعماقك وركضت ، ثم تكسرت ، وخلفت لك كل ما لفظه ذلك الموج من داخلك !

ـ قلت : هل هذا هو احساسك ؟!

ـ قال : احساس ؟؟.. أين ذلك الاحساس .. ألم يتحول الى جرح منفي في صدر الإنسان ؟!

ـ قلت : دعني اذن أصحح السؤال .. فأقول : هل هذا هو انطباعك ؟!

ـ قال : كل انطباع يتخذ له زاوية معينة !!

ـ قلت : وما صفتك أنت كزاوية ؟!

ـ قال : زاوية استطلاعية .. ترفض الانعكاس عليها !

ـ قلت : ولكنها تعكس على الناس ما ترغبه عليها !

ـ قال : يحدث هذا .. ولكنه يتوقف على المحتوى الآني في الانطباع !

ـ قلت : وما هو موضوع استطلاعك ؟!

ـ قال : كل الناس ، وكل الحياة ، وكل الأفكار ، وكل الاحساس الذي تحوَّل الى جرح منفي في صدر الإنسان ، ومعنى « كل » في قوام المجتمع !

ـ قلت : تعني أنك زاوية حادة ؟!

ـ قال : خليط متلاحم متناقض ، وأحيانا زاوية منفرجة ، ولكن طبيعتي من انطباعي .. ان أسجل استطلاعي ،

ـ قلت : اذا كان كل الناس هم موضوع استطلاعك ، فما هي دوافع ذلك الاستطلاع ؟!

ـ قال : شعوري قوي .. يتحول أحياناً إلى شراسة !

ـ قلت : ما هو هذا الشعور ؟!

ـ قال : شعور بتصرفات الناس ، وتعاملهم من عواطفهم ومن أفكارهم ، والرغبة في تسليط الضوء والحرارة عليها !

ـ قلت : بماذا ؟!

ـ قال : بلساني ، وهو كل ما أملك كظاهرة قوة !

ـ قلت : هذه هى ارادتك الوحيدة ؟!

ـ قال : أضعف الإيمان !

ـ قلت : هذه العبارة تستخدم لهدف النصيحة والتقويم !

ـ قال : وما الذي أفعله أنا ؟!

ـ قلت : أنت لا تنصح ، وإنما « تهرش » ، فأنت تملك لسانا من « خيش » .. سطحه خشن جداً ، أو كأنه « مبرد » ، وليس « كل » تصرفات الناس يستحق الهرش بهـذه الطريقة .. هناك من يحسن معاملة الآخرين ، وهناك من تبقت في صدره عاطفة صادقة ، وهناك من يزن أفكاره ، وأنت استخدمت صيغة الجمع .. لماذا لا تفرز الناس الى مصيب ومخطىء ؟!

ـ قال : الآن قل لي .. ما هو الخطأ وما هو الصواب في تصرفات الناس .. ما هى قاعدة الصواب ، وما هى دلائل الخطأ ؟!.. فالذي يرتكب الأخطاء لا يعترف بها ويلوم الذين ينتقدونه ، والذي يحرص على الالتزام بالصواب يسمى مغفلاً ، أو يوصف بالحماقة ، فكيف تستطيع أن تفرز ؟!

ـ قلت : ولكن الخطأ يعلن عن نفسه ، والمخطىء يفشل أن يستمر في أخطائه لأنها ضد طبيعة الأشياء ، والوعي ، والعرف الإجتماعي ، والفكرة الإنسانية !

ـ قال : أنت تقول كلامك هذا فوق أرض منبسطة منسرحة ، فتتعثر رؤيتك .. لكنني أجلس في زاوية تعينني على ترديد الرؤية !

ـ قلت : يبدو لي أنك أنت الجلوس ، وأنت الزاوية معاً ، ولو كان هناك اختلاف بين زاويتك ، وبين ما حولها لأمكنك أن ترى بوضوح !

ـ قال : أنت تعيب عليَّ أن أفضح أخطاء الآخرين ؟!

ـ قلت : أبدا .. ولكن من الصعب أن تفضح الأخطاء وتفسرها أيضاً .. فهل نظفت أنت من الأخطاء ، وهل تظن أن تفسير أخطاء الآخرين لا يؤدي بك إلى خطأ أفدح ؟!

ـ قال : انني أتجنب الاختلاط بالقاعدة .. ان زاوية واحدة فيها تمنعني !

ـ قلت : فيتم لك ذلك من جانب ، وبالاختباء عن الناس من جانب آخر !..

ـ قال : أنت تمنع البعض من شجب أخطاء غيره فتروج لمنطقية الخطأ !

ـ قلت : أبدا .. انني أطلب منهم الاعتراف بأخطائهم مثلما أفرض ذلك على نفسي ، ولكن الكارثة لو أن كل واحد أصبح مثلي .. يعطي لنفسه حق ترصد أخطاء الآخرين وفحصها وتفسيرها دون أن يتذكر أنه قد لا يقل أخطاء عن الناس !!

ـ قال : أنت تناور .. فاشرح لي ما قلت !

ـ قلت : من الصعوبة أن يعترف المعتاد على تعرية الآخرين بعريه هو . فأنت تجلس في زاوية بعيدة عن رؤية الناس لك ، وتطلب منهم عنوة أن يتعروا « كله يقلع ! » ثم يسلموا برؤيتك لهم .. ذلك يمثل دوافع الأنانية ، أو الغيبوبة العقلية !

ـ قال : لكنني مثل كل الناس .. لا أرى أخطائي ، ومن هو الإنسان الا نموذج للذي لا يرى أخطاءه هذه الأيام ولا يعترف بها ؟!

ـ قلت : هذا لا يعني أنك مغسول من الأخطاء ، فالتجارب مزيج من الخطأ ومن الصواب .. فهل أنت انسان بلا تجارب ؟!

ـ قال : حتى لو عايشت تلك التجارب . فليست تجاربي .. فأنا أتحاشى الناس .. غير أني أتفرج .. أرى وأعرف كيف تتم تجارب الآخرين !

ـ قلت : ثم تصور أحكامك على الناس بما يثرثر به لسانك فقط !

ـ قال : وما هو عيب لساني .. أليست هناك ألسنة أكثر رداءة ؟!

ـ قلت : ربما .. ولكن لسانك ارتكاري .. اذا لم يهرش لا يستريح !

ـ قال : ماذا تعني ؟!

ـ قلت : انه لسان مصاب .. فاما أن تهرشه بأسنانك ، وإما أن تهرشه في حياة الناس !

ـ قال : وما هي الجريمة التي صنعتها بلساني ؟!

ـ قلت : لسانك صنع منك شخصاً معدياً .. من قابعي الزوايا ، ومن مروجي الهمس الذي لا يقوم حواره على حقيقة ثابتة .. انك تجز بأسنانك على لسانك لتسكت « هرشه » .. فلا تستطيع الا أن تتكلم كيفما اتفق !

ـ قال : وبعد .. اسمع .. لقد احتملتك كثيراً ، ولا يمكن أن أغفر لك هذه الاهانات !

ـ قلت : ليست أفدح من اهانتك لقيمتك كإنسان من المفروض أن تلتفت الى ما يسمو

بك فوق الاحباطات ونهش قيمة الآخرين ، ومن المفروض أن تجود عملك ، وأن تبدع لتصل بذلك الابداع الى احساس صادق بجمال الحياة وبحميمية التقارب مع الناس ، ومن المفروض أن تجمر لسانك بكية واحدة ربما أصابت العلة وشفتك منها .

ـ قال : لا أشكو مرضاً .. أنتم المرضى !

ـ قلت : الناس كلهم في نظر المريض مرضى مثله مصفرين هزيلين ، فالنظرة تكون بقياس الحالة ورد فعلها !

ـ قال : لكن غيرك وصفني بما أشعرني بالمسرة والغبطة !

ـ قلت : اما لأن هذا الغير لا يعرفك ، واما لأنه يعاني مثلك !

ـ قال : تصدق .. ان لسانك أكثر ارتكارية من لساني !

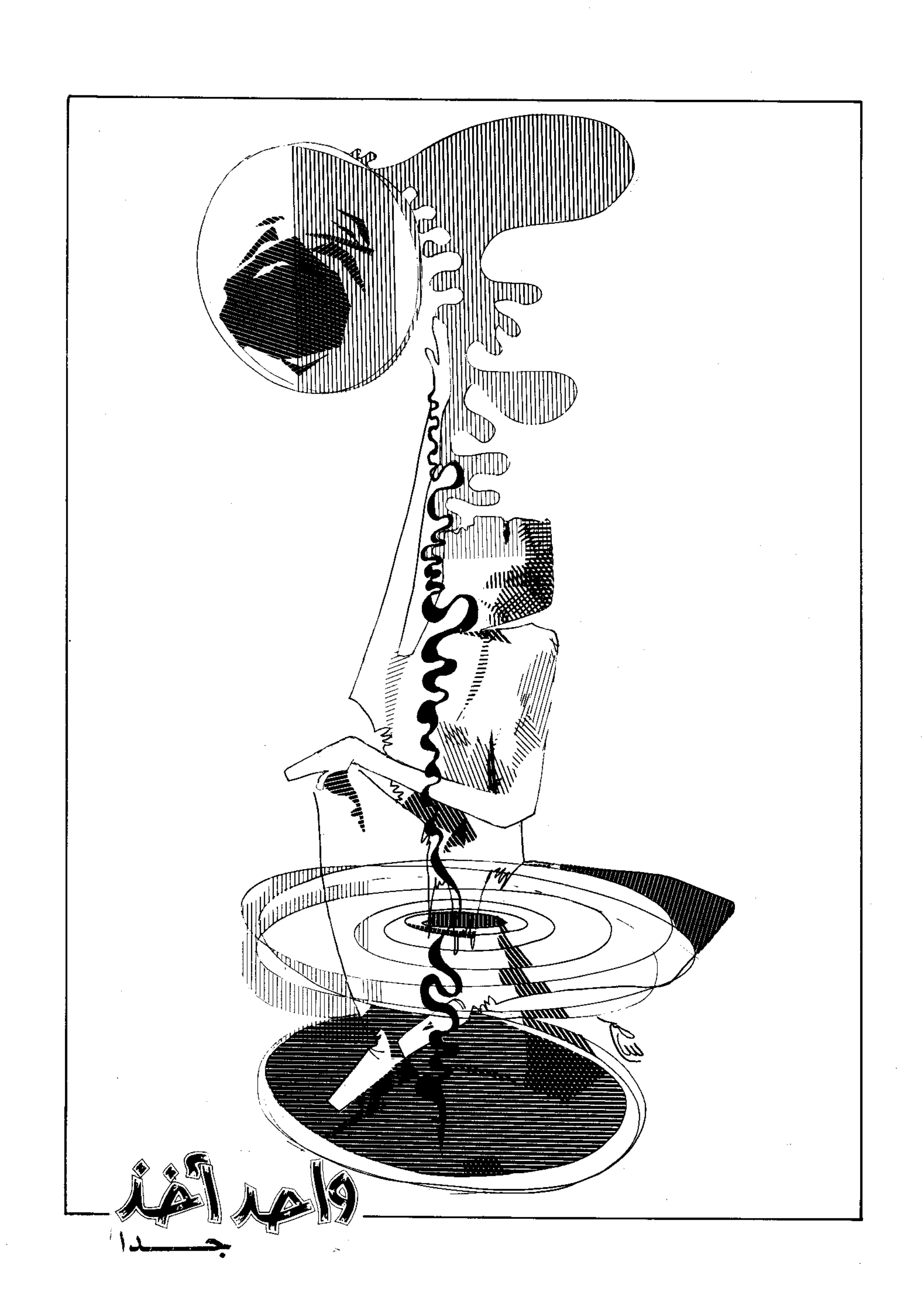
ـ قلت : لكن ليس صفة أو طبعاً .. انه فقط يجابه شيئاً أقوى أو أكثر المآ !

ـ قال : سأغيب عن وجهك ، ولكنك سوف تصطدم بالكثير من أمثالي !

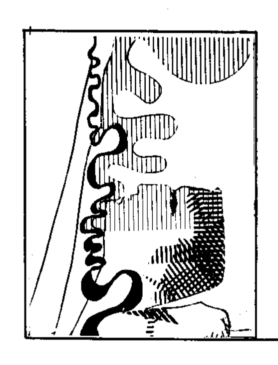
وأدار لي وجهه ، وجعل ظهره « ظل » شيء يتحرك في تخيله ويحاول أن يجسده ! ولم أستطع التحديق فيه ، فقد كان متعدد الوجوه ، ومحكوم بالظل .. بظل لسانه ، وبظل ما يتحرك في تخيله !!

***




واحد آخر
جـــدا







واحد أخذ جدا

● المكان : أي موقع هنا أو هناك على امتداد المسافات !

● الزمان : لا يخضع للذكرى !

● الاضاءة : مسائية .. تنبعث حزمها من تحت المقعد !

● الصوت : عميق .. يكاد يتحول الى أصداء !

● المناسبة : هذا الزحام الكثيف الذي يغمر عنوان الإنسان في أعماقه !

● الحركة : امتدت يد هذا الواحد الى الأرض ، وأخذت أصابعه ترسم خطوطاً متشابكة .. معقدة ، وفي داخلها مربعات مفتوحة ضائعة في كثافة الخطوط الطويلة والعريضة :

ـ قلت له : هل تلعب الكلمات المتقاطعة ؟!

ـ قال : تجاوزت هذا الانشغال المحير !

ـ قلت : فما الذي تفعله اذن ، وتقصده من هذه المربعات المفتوح بعضها على البعض الآخر ، ومن هذه الخطوط المتشابكة كأنها أمعاء مبقورة ؟!

ـ قال : هذا الذي تراه أمامك اسمه : الأخذ والعطاء !

ـ قلت : ترسم بطريقة المدرسة السيريالية اذن ؟!

ـ قال : انني لا أجيد الرسم ، ولكنني أحاول التعبير عن فكرة .. عن صورة أجسدها عبر هذه الخطوط والمربعات !

ـ قلت : وماذا عن الأخذ والعطاء عندك ؟!

ـ قال : ما عندي هو عندك وعند الناس كلهم ، والفرق ان أغلب الناس اليوم لم يعد عنده الاحتفال بهذه القيمة في التعامل والشعور فيما بينه ، أو أن الناس قد اسقطوا العطاء

من حياتهم ، وأصبح كل همهم هو الأخذ !

ـ قلت : تعني أننا نعيش زمن الأخذ ؟!

ـ قال : أعني أن الناس لم يعد يشق عليهم شئ ، فظنوا ان قدرتهم تمكنهم من أخذ ما يريدون فقط دون أن يعطوا في المقابل لما أخذوه ، ولقد نعم الإنسان في الزمن القديم بلذة مزج الأخذ بالعطاء .. دون أن يكون الأخذ سؤالا جائعاً ينتظر العطاء اجابة عليه .. اما في الزمن الجديد فقد أصبحت اللذة مكثفة في ارضاء « الأنا » ، وضاعت الأجوبة في تسلط الأسئلة !

ـ قلت : قل لي .. من أين يمكنك أن تأخذ حينما تتسلط عليك رغبة الأخذ ؟!

ـ قال : من النقطة التي تتركز عليها رغبتي وتدور حولها .. ألم يصبح الناس مجموعة رغبات مجوفة من الأحاسيس ؟!

ـ قلت : وهل تأخذ النقطة التي رغبتها فقط ، أم أنك تستحوذ أيضاً على ما حولها وما يتبعها وما يتبع لها ؟!

ـ قال : أمارس ما يفعله الآخرون اليوم .. انني لا أستطيع أن اجزئ رغبة الأخذ ، ولكنني امتلكها كاملة بكل فرصها وضعفها في الجانب الآخر !

ـ قلت : ولكن ذلك يتجاوز معنى الأخذ الى فعل الاستحواذ بالاستغلال للظرف ، أو لنقطة الضعف ، وهذا يعني خلخلة الضمير وتشويه صفاء النفس !

ـ قال : صحيح .. ولكن عندما أشعر في لحظة ما الى الاحتياج الملح وهو من فعل التسلط المادي على فكر ونفس الإنسان .. لحظتها أفكر في استغلال الظرف الملائم لمزيد من الأخذ لأسدّ احتياجي !

ـ قلت : وقد يتحول الاستغلال الى سرقة ، والاستحواذ الى نهب ، وبذلك تجد نفسك وقد تعفن ضميرك ، وافقدت نفسك ـ كإنسان ـ وسامتها وأناقة تعاملها ؟!

ـ قال : ومن قال لك ان الأخذ الآن هو سؤال ينتظر الإجابة ؟.. لقد تحول الى اجابة ضرست ما قبلها وما بعدها من الأسئلة ، فأغلب الناس اليوم ليس عندهم الوقت الكافي لطرح الأسئلة ، والأسئلة تعني الاستفهام والتعرف والتعلم والحيطة ، ولكننا نهزم كل تلك الأسئلة ببعثرة العديد من الإجابات التي لا تهتم بالأسئلة .. لأنها لا تهتم بالنتيجة ، أو بالحصيلة ، أو العبرة !

ـ قلت : وبعد أن تأخذ .. هل تصعب عليك الأفكار ، وتتحرج ارادتك .. أم يسهل عندك كل شيء ؟!

ـ قال : في البداية أقول لك .. ان من يريد أن يأخذ بدافع الأنا وبدون أن يعطي .. فهو لا يفكر .. لا تعنيه أية فكرة .. الا ماكان ملاصقا لرغائبه وذاته . أما الارادة .. فهى طبيعة في الإنسان .. تقوي عند البعض ، وتضعف عند البعض الآخر ، وميزانها يتمثل في النوايا .. نواياك نحو ما تريد أن تأخذ ونواياك أمام ما تريد أن تعطيه ، ولا أكذب عليك .. إذا أخذت ما تريده واستنفذته ، فما الذي تبتغي بعد ذلك من قشرته ؟!.. لكنك تتلفت بحثا عن أخذ جديد بعد أن تقذف بالقشرة السابقة !

ـ قلت : ألم تحاول مرة أن تحاسب نفسك .. أن تسألها عن ما أخذت وما أعطيت ، أو عن ما هو مفروض أن تعطيه ؟!

ـ قال : في لحظات قصيرة عابرة أتوقف ، فأعرض نفسي للانتقاد الذاتي .. أحاول بصعوبة أن أتذكر تلك الضرورة التي تلح على البحث عن تربية سليمة ومثالية للنفس .. على الأقل لأقتنع بالتفكير أو لأشبع بما أخذت أو الالتزام بخلق أهدرته !

ـ قلت : وماذا تكون النتيجة في نفسك ؟!

ـ قال : أحتار واصطدم ببعض الأسئلة التي تلف رأسي ، ومنها على سبيل المثال : هل تبدو رغبات الإنسان كثيرة بلا حصر وقوية مندفعة بلا ضبط ، ونهمة أكول بلا شبع .. حتى انها تدفع الإنسان وتقسره على الانسياق وراء اغراءاتها .. أم أن مغريات الحياة التي تتحول الى رغائب ودوافع للأخذ فقط .. هى مغريات متعددة وملونة ، وان الأشياء لا تتشابه وان الطعم يختلف من شيء لآخر ؟!

ـ قلت : ولكنك بهذه الأسئلة لن تطفو على السطح المتلاطم في اعماقه ، وإنما مثل هذه الأسئلة تدفع بك الى القاع والمزيد من الغرق !

ـ قال : لا .. انني أخالفك ، فهذه الأسئلة تدعونا لطرحها ومناقشتها بعد كل تجربة « أخذ » ، فنحن في لحظات الامتلاء والشبع نشعر بالقرف من كل شيء .. حتى مما أكلناه أو أخذناه أو استحوذنا عليه .. طبيعة الإنسان تمرض وتتمرد في الملل ، فلماذا ـ اذن ـ لا نقارب بين الأشياء ونفاضل عند الشبع ؟.. اننا لانقدر ان نحسن المفاضلة الا عند التشبع وبعد الأخذ ، وطالما كان الإنسان مدفوعاً باحتياجاته فهو لا يفاضل ولا يختار وإنما يندفع

للأخذ على أي شكل كان .

ـ قلت : ولكن النتيجة أيضاً قد تأتي عكسية .. ففي لحظات الامتلاء أو الشبع تبرد الهمة وتتكسر الأجفان ، ويسري الخدر ، وتغفو العيون ، ويتعطل الذهن ، و..

ـ قال مقاطعاً : وتصاب الغرائز بالاغماء وتتضخم الشهوات !

ـ قلت : اذا تضخمت الشهوات فقد تتحول الى حيوان هائج ؟!

ـ قال : أبداً .. ان الإنسان بمجرد ما يأخذ فهو يسقط من التعب ، أو من البطنة أو من الامتلاء .. لحظتها من الممكن أن نختار للغد رغبات أفضل تقوم على التعاون بين الإنسان والآخر .. أيضاً فان الإنسان حينذاك يتنازل عن مطالب ذاتية لأنه محكوم بالقرف !

ـ قلت : هذه نقطة جدلية لن نخلص منها ، ولكن قل لي .. ألا تعتقد ان ساعات الملل تزداد فيها رغبات المرء أكثر .. لأنه ينطلق من فراغ ؟!

ـ قال : أعلم في كل الأحوال .. ان الإنسان متورط في الرغبات التي لا يملك طريقة تحقيقها ، ولا تصدق أن إنساناً ما قد حقق كل ما يرغبه ، أو أنه قد أخذ كل ما أراده واشتهاه .. أبداً . ان كل العاطلين يحلمون فوق رقعة شاسعة من الأشياء بينما مقاساتهم محدودة ، وقدراتهم محدودة .. أما الذين يعملون ، ويعرقون . ويكدحون ويفكرون .. فان رغباتهم تبدو مبلورة ومتأثرة بالحركة وبالعمل !

ـ قلت : هذه لا نسميها رغبات ، وإنما هى طموح ، وفكرة للحياة الأحسن التي يتوافق فيها الأخذ والعطاء ، ومهما كانت نسبة المستغلين لفرص الأخذ بلا عطاء كبيرة .. لكن منطق الأخذ والعطاء قائم بين الناس ، ومهما أخذت فلن تقدر على مواصلة أسلوبك .. فغيرك أيضاً يريد أن يأخذ .. حتى في الحب الأعمق .. فلن تأخذ اذا لم تعط . أو انك لن تحصل على شيء إذا كان الطرف الآخر لا يريد !

ـ قال : لكن الغرائز لا ترتبط بهذه القوانين . أو الانشوطات الإجتماعية والنفسية .. أحياناً تجد رغبة الأخذ تدفع صاحبها لأن يقفز فيرتكب جريمة ونتساءل لحظتها : لماذا عجز أن يتحكم في تلك الرغبة ؟!

ـ قلت : لابد أن نربط هذه الحالة بمستوى التفكير .. بصحة الادراك .. بالاحساس الذي لم يتعرض لصدمة ، أو لعاهة أو تعرض لها !

ـ قال : ولكني أعتقد ان الإنسان لن يتخلص من غرائزه !

ـ قلت : الغرائز موجودة .. لكننا نشذبها ، ونهذبها ، ونحكمها بدل أن تحكمنا .. نحكمها بالتفكير .. بالقناعة .. بالحب ، فالحب يمنع الانحراف ويدعو الى تنازلات الرغائب فينا عن اشيائها الحادة !

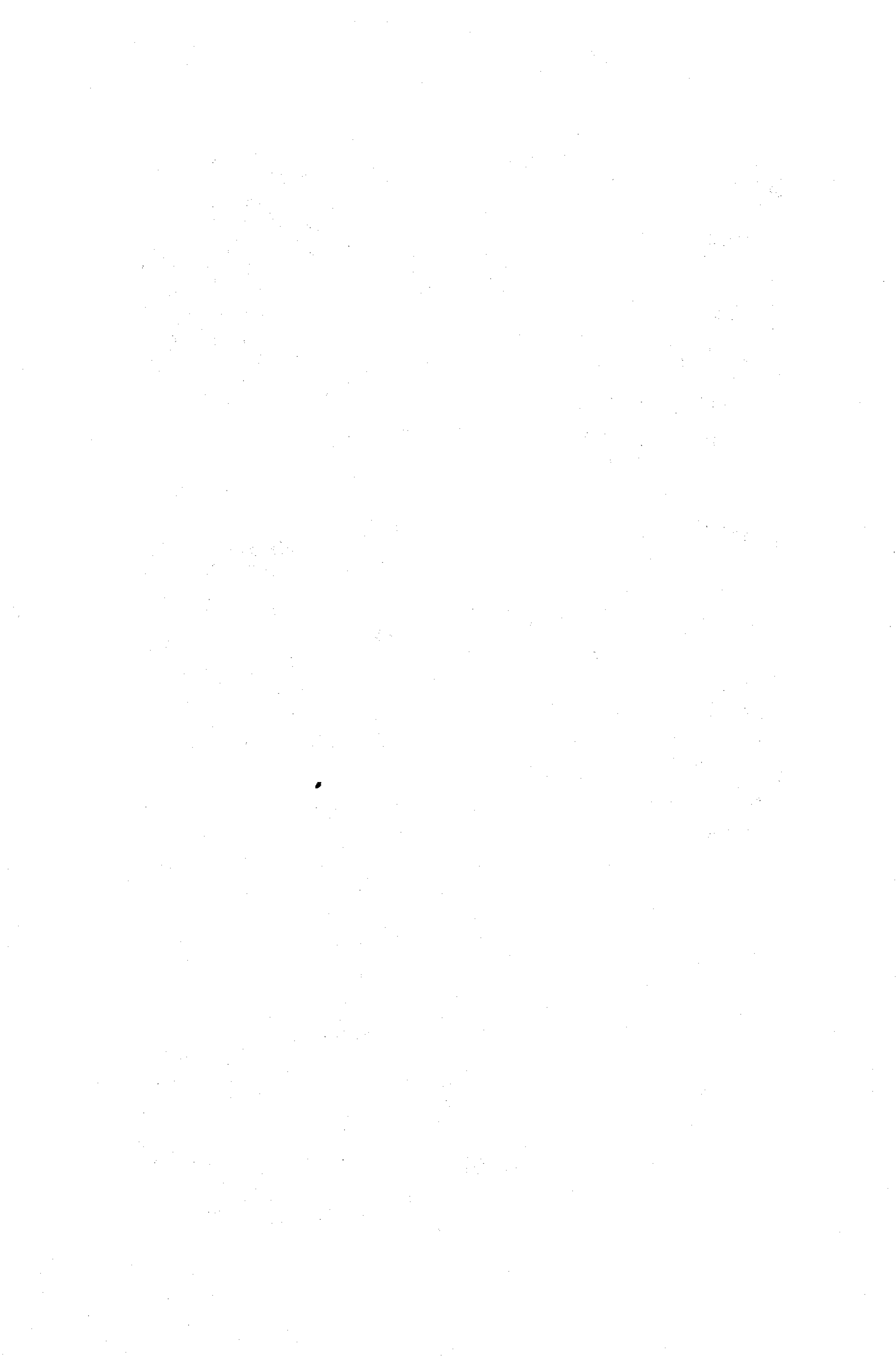
ـ قال : أمازلت تتحدث عن الحب بين الناس ؟!

ـ قلت : لا يمنعني شيء عن ذلك برغم التبدل الذي طرأ على نفوس الناس ، ولابد أن نفرق بين الرغبة وهى طموح وابداع وتفوق انساني .. وبين الرغبة وهى دافع للامتلاك .. دافع للأخذ ، فالامتلاك مادة ، اما الأخذ فهو في بعض المواقف يسمى تجاوباً ، أو اصداء عندما يقترن بالعطاء ، ويبقى الأخذ امتلاكاً بتصورك عندما ينحصر في الأشياء المادية .. الأشياء التى نأخذها فتصيبنا بالخدر !!

ـ قال : ألا تشعر بأنك قد أخذت مني الكثير الآن ؟!

ـ قلت : بلا شك .. لكنني أعطيتك الأكثر في الوقت الذي لم أكن راغبا فيه الى أخذ ما عندك لأبيعه ، أو استغله ، أو استحوذ عليه .. فالذي عندك لا يشترى وإنما يباع للتخلص منه ، ولا يستغل لأنه لا مكسب منه أو فيه ، ولا يغري بالاستحواذ عليه .. لئلا يسقطنا في هوة العزلة !!

***




واحد حزين ...
جـــدا





واحد حزين ... جـــدا

وقفة تذكُر .. تسرقني من صقيع الروح .. حيث الزمن حلقة مفرغة وساخنة .. ليس فيها ثمن مانح ، وفيها افتقار الى المعاني ، وخسارة في القيم ، وخواء بين الضلوع ، وفيها اجترار لشعور مرتد مثخن بالفقد ، ومجروح بالفجيعة ، ونازف للغربة !

وقفة تذكر .. تهرب بي من زمن الماديات الموغلة ، والاحباطات المتراكمة ، والانفصام في العاطفة .. فلا يعرف الإنسان ان كان ما يحس به حباً ، أو هروباً من الحب !

ان شفتي تنفرجان كما فتحة « قربة » ماء جافة .. تتقاذفها الريح في صحراء قاحلة !

ان عيني كنجمتي شتاء .. غريبتان وحيدتان .. تائهتان في سماء ملبدة بالسحب الداكنة !

ويخيل الى انني أسمع قهقهات العالم تتعالى مجنونة ، ثم تذوب في كأس من الثلج ، أو تحترق في فوهة بركان يقذف الحمم !

انني الإنسان في هذا الزمان الموحش بزحام الترف المادي .. الفائض بفراغ الوجدان .

انني أعبر كل مساء فوق بحار ازدادت ملوحتها .. من كثرة ما تردد القراصنة فوقها ، وتعبرني كلمات الغزل كقوس قزح نتمنى ظهوره كلما ارتفع جفاف الروح ، وطلبنا الاستسقاء لهطول الوجدان وامراعه !

ترى .. هل مازلنا نحب ونعشق ، وتذوب شمعة تضئ رؤية من نحب ؟!

ان خفقات الإنسان تنسحق .. فهو يغني كلمات من غبار ركضة ، لأن نبرة الحزن تحولت الى تاريخ حب .. لأن الاحساس بالحب قتلته الرغبة في صناعة الضياع لصدق الإنسان ، ولجوهره ، ولميزاته !

ورغم ذلك ـ كإنسان حزين ـ بادرت الى اسقاط تعبي ، وتلفت الى الوقت من العمر

وكأنني المتوتر بالضحكات التي يفعلها الآخرون ونطبعها على شفاهنا !!

ان عروقي كأوتار جيتار يعزف عليها غجري يقتل الوحدة بالغناء .. فكأن غنائي هو وقف التنفيذ روحياً .. أشعر بالحب وأناجيه في زمن الحروب ، وفي مناسبات التنازلات ، فقد قيل :

ـ « ان قطرة واحدة من ماء البحر .. تخزن في جوفها كل أسرار البحر» !!

انه سباق الإنسان مع رغباته ، ومادياته ، وعجزه ، وفجائعه .. انه الدوار الذي يعصف بالخفقات قبل الرأس .. فوق أمواج تنكسر وتغرق في جزرها كل آهات الإنسان !!

وهل تبقَى على الأرض في امتداد الكون : محب ومحبوب .. عاشق ومعشوق ؟!

وهل مازالت الذكري .. صبابة يجدها الإنسان كلما رمى به الظمأ تحت الهجير ؟! انه منتهى الألم .. هذا الذي أصبح بقايا في أعماق النفس الإنسانية :

ـ ان يتحول المحب الى مشفق ، وأن يتحول المحبوب الى مشفق عليه ، أو الى اشفاق ينادي !

الآن .. يتبدل الزمان !!

الآن .. اسم الحب : شفقة .. فلنبحث عنها بين ضلوعنا في لحظة وقف التنفيذ للحب ، أو وقف التنفيذ روحياً !

الآن .. وقفة التذكر ـ تومض ـ من وراء كثافة السحب الرمادية ، فاسترجع شيئاً مما كان شبعاً للروح ، وارتواء للشعراء .. كأنها القصة التي لا نهاية لها في لحظات ميلاد الحب ، وعندما تحول الاحساس بالحب الى اشفاق .. أصبحت النهاية خبراً ينفصم عن الزمن ، ويتموه فيه الحب !

وهكذا بدأ يروي لي الحكاية :

***

* كانت في عينيه دمعة تتلألأ .. استغربتها في البداية ، فلم تعد هناك عيون مليئة بالدموع ، بقدر ما أصبحت العيون بؤبؤاً يتجمد في الدمع ، وسألته :

ـ هل هذه دموع ؟!

ـ قال : هذه ذكرى .. ظننت ان الأيام قد نجحت في تجميدها ، ولكني أفاجأ بها معك وهي تسيل !

ـ قلت : أعرف ان الدموع للحب دائماً !

ـ قال : ولكن الحب قد تحول الى اشفاق !

ـ قلت : كيف .. وقد كان ما بينكما أقوى من عبث النسيان ؟!

ـ قال : انني أصبحت الشجرة التي تعرت من أوراقها !

ـ قلت : ولكنك بعدك تثمر !

ـ قال : ربما .. استطيع أن أعطي بعض الظل المستقيم ، وأن أفيد بحطبي دفئاً لمقرور في ليلة باردة !

ـ قلت : ولذلك .. فأنت تحس الآن بعد عبث النسيان بينك وبينها .. انك تدعوها للاشفاق عليك !

ـ قال : ربما أيضاً .. فلا استبعد انها في خلوتها وهي تفتح صندوق عمرها وتراني في مرآتها القديمة .. لابد انها تشعر بالاشفاق عليَّ بعد كل السنين التي رحلت بالجذوة ، وبالقدرة على السباق !

ـ قلت : وأنت .. ألا يعتريك نفس الشعور بالاشفاق عليها ؟!

ـ قال : بلى .. فعندما أعرف أن خفقاتها تحولت الى وظيفة في صدرها ، والى خبر في سمعي ، وأنها بدأت التلفت حولها في لحظات خلوها الى نفسها وتأملاتها .. فان ذلك يعني انها لا تحيا الحلم الذي كانت تسقيه في أيامها ، وانها عجزت أن تمزج بين واقعها المادي وبين احاسيسها وحتي أفكارها التي سبق لها معايشتها ، وتجرح بها معاناتها !

ـ قلت : ولكن هذا الذي تحسه .. حب !!

ـ قال : أبداً .. الحب يا صديقي هو مقدرتنا على العطاء والأخذ .. قدرتنا على تجاوز النسيان ، والتفوق على الانخذال الذي تصنعه الأيام في حوافزنا وخفقاتنا !

ـ قلت : ولكنك تستطيع أن تعطيها الآن رغم وحدتك ، ووحدتها !

ـ قال : ما الذي أعطيه لها غير الشفقة ، وآخذ منها غير الشفقة ؟.. فأنا أعجز أن أجدد الأماني فتغذي الحب ، وعندما نكتفي بدغدغة الذكرى في النسيان يصبح كل شيء لا قيمة له .. الا ما تثيره الذكرى من حزن يطفو على حفافي النفس ثم يعود الى ترسبه من جديد !

ـ قلت : دعني أرسم ابتسامة على شفتيك حين أذكرك بعبارة لكامل الشناوي ، فهو يقول : « الحب جحيم يطاق ، والحياة بلا حب جنة لا تطاق » !!

ـ قال : انني أبتسم بمرارة الآن .. فهذه العبارة لن تصلح الا للرثاء .. لأن كامل الشناوي قالها وكأنه الشاعر الأخير ، والا فقل لي أي شاعر بعده تحدث عن الحب ممزوجاً بالحياة ؟!.. فحتى الشعر اليوم هو تعبير عن الشفقة أو نداء على الاشفاق ، ولا تحزن .. فالعاطفة دائماً هي مشكلة البشر ، فلو رقت أحاسيسهم وتجاوبت معهم تعبوا ، ولو تلوثت عواطفهم بالماديات وانشغلت عنها بهموم العيش .. أُتْعَبُوا !!

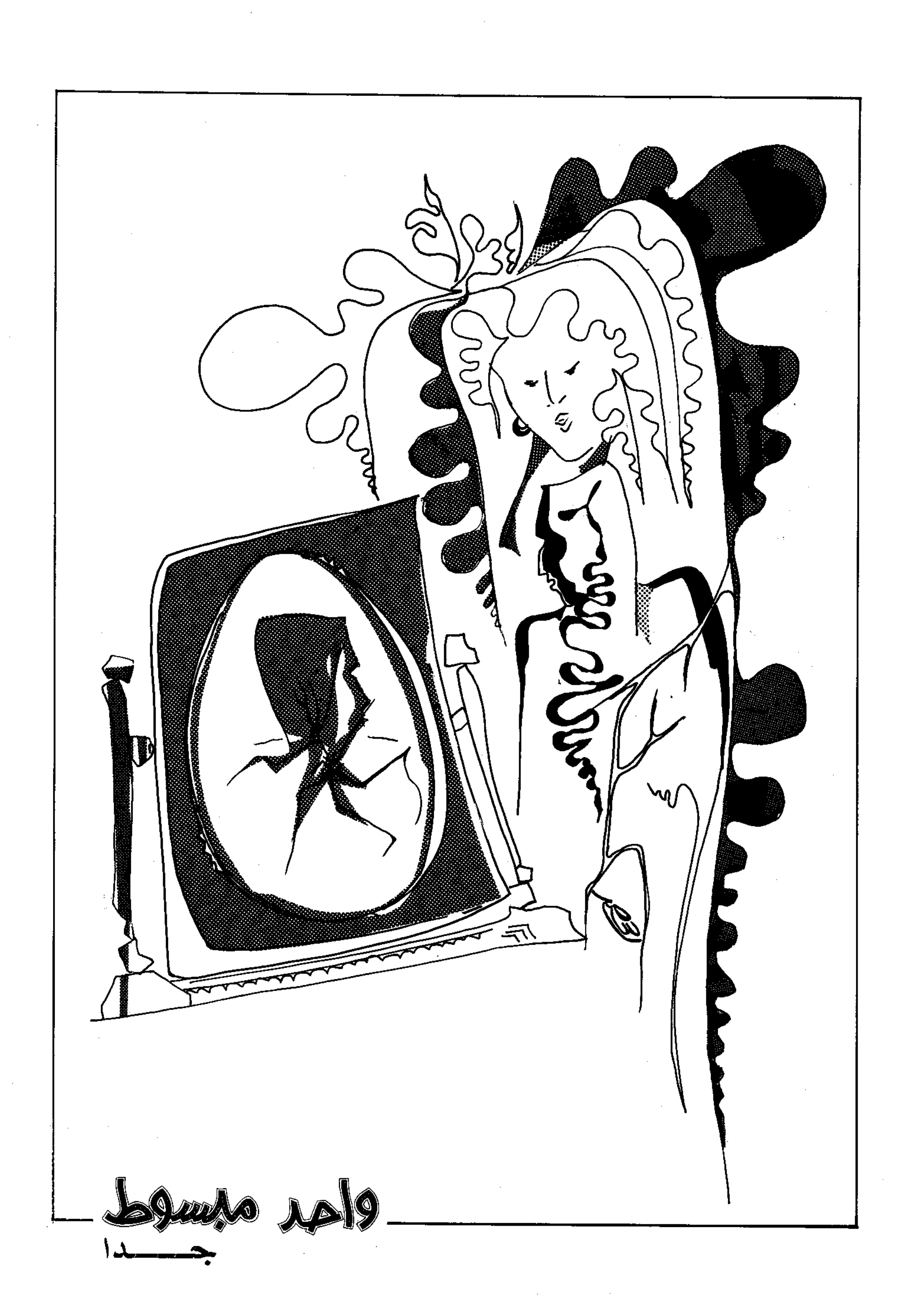
ـ قلت : لا أرضى منك بنبرة التعاسة هذه ، فنحن لا نمتلك كل شيء ، وأيضاً لا نجد كل شيء .. ولكننا نرضى أُن نحصل على جزء مما نريد .. أن نقطع خطوات مما نمشيه من مسافة العمر .. ان نرى جانباً واحداً مرئياً من عدة جوانب غامضة ، والحب هو أن تعطي دون أن تأخذ !

ـ قال : ولكن ما الذي سأعطيه ؟. لا أمتلك إلا الشفقة !

ـ قلت : حتى من أجلها ؟!

ـ قال : لأن الاشفاق هو الشيء الوحيد الذي يمكن أن يتبادله الناس .. اما الحب فهو امكانية الذي يستطيع أن يعطي ، فالشفقة هي : وقف التنفيذ .. روحياً !!

***


واحد مبسوط
جـــدا





واحد مبسوط جـــدا

● المكان : صفحة مرآة .. انعكس عليها وجه غطته فتحة فم مقهقهه . الوجه واقف على صفحة المكان .. على المرآة !

● الزمان : مسروق .. اختطفته الضحكات ، ومدَّته ثوان لا تطول !

● الرؤية : صافية .. كلون الماء !

● الصوت : صخب يرتفع من الأعماق عنوة :

ـ قلت له : هل هذا صوتك ؟!

ـ قال : أبدا .. انه صوت نفسي .

ـ قلت : نفسك تقهقه ؟!

ـ قال : الا تسمع القهقهة على وجهي ؟!

ـ قلت : اني أرى على وجهك ، ولا أسمع منه !

ـ قال : بل انت تسمع !

ـ قلت : ماذا تعني ؟!

ـ قال : أعني أن الرؤية انطباع .. دمغ ، أما الاستماع فهو صوت .. يضيع بعد لحظات في الهواء !

ـ قلت : تعني أن قهقهاتك ضائعة ؟!

ـ قال : أقصد أنني « سمبوط » !

ـ قلت : تقصد مبسوط ؟!

ـ قال : وهذا الانبساط لا يترجم معاني الفرحة !

ـ قلت : أجل ؟!

ـ قال : الانبساط تأثير وقتي .. لكنه لن يبقى .. لكن يكون شعوراً صادقاً !

ـ قلت : وما الذي يبسطك الآن ؟!

ـ قال : عمق الحزن !

ـ قلت : كيف ؟!

ـ قال : أكره أن أموت وأنا « مبلم ! » أريد أن يكون موتي من شفتي !

ـ قلت : هل مات أحد من السرور ؟!

ـ قال : كثير .. ان تضخم السرور أو الفرحة يقتل !

ـ قلت : وتريد أن تموت بفرحة ؟!

ـ قال : أحاول .. فالموت ليس وقفاً على الألم والحزن فقط .. انه يتعاطف أحياناً مع الفرحة !

ـ قلت : هل أنت صحيح ؟!

ـ قال : لا أشكو مرضاً ، ولا أشك في قواى العقلية .. كل ما هنالك ان أحاسيس الإنسان تتضخم أحياناً فتسبب هذه الحالة .. حالة ها ؟!

ـ قلت : وما سبب انبساطك ؟!

ـ قال : سؤال معاد .. ألم أقل لك عمق الحزن ؟!

ـ قلت : قصدت ذلك لاطابق الأجابتين !

ـ قال : لا .. انك نسيت فقط .. فنحن لا نرضى باكتشاف أخطائنا ، وهذه من الأشياء التي تجعلني أضحك !

ـ قلت : تحب أن تضحك من الناس ؟!

ـ قال : وهل وجدت أنت فرصة لتضحك مني ولم تغتنمها ؟!

ـ قلت : اني لا أحب الضحك على غيري ، أو منهم .. اني أضحك معهم .

ـ قال : أنت ترضى أن تكون مرآة عاكسة اذن ؟!

ـ قلت : وماذا يضير إذا كان هذا يفرح غيري ؟!

ـ قال : هل تعتقد أن أي واحد يرضى بحالة هذه المرآة التي أقف أمامها الآن وأقهقه ؟!

ـ قلت : على شرط أن لا تكسر المرآة بعد فراغك من انبساطك .

ـ قلت : وهل هذا هو الجمع بين الألم والفرحة ؟!

ـ قال : بدقة متناهية .. فالنفس تحمل في وقت واحد عبء الحزن وعبء انتظار الفرح ، وفي المنتصف قد يموت الإنسان باللحظة الفاصلة !

ـ قال : وهل تعودت على هذا الرأى ؟!

ـ قال : اني أناقشه أمام المرآة دائماً .. فالزجاج لا يجامل . ان الزجاج مادة صريحة .. انه مرآة ، ونافذة ، وانبوبة اختبار ، وشيء يصر أن ينكسر ويتحطم إذا أهملت حمله !

ـ قلت : وعندما تحب .. هل تبدو مبسوطاً ؟!

ـ قال : المحبة ليست حالة .. انها شعور ، والشعور منطق !

ـ قلت : لكن قلوبنا تخفق مع كلمة الحب ؟!

ـ قال : هذا لا يسمى انبساطاً .. انه منطق الفرحة .. ان الحب يجعلك مبسوطاً ، وليس الانبساط هو الذي يدفعك أن تحب !

ـ قلت : لكن الإنسان يحب ثم يتألم !

ـ قال : عندما يجعل من الحب حالة .. اننا نعتسف الحب ، فلو أصغينا جيداً الى صوت أعماقنا لسمعنا الصدق .

ـ قلت : وما هو صدق الحب ؟!

ـ قال : أن تتألم حقاً .. أن الأم تفقد بهجتها عندما يتزوج ابنها ، والحبيبة تنادي من تحب عندما تفقده ، والقلب يخفق بشدة قبل لحظة اللقاء ، فاذا التقى الحبيبان ، وشعرا ببقائهما معاً تحولت دقاته الى وظيفة .. باعتباره عضواً دموياً في الجسد !

ـ قلت : لكنهما في اللقاء يحسان بكل الانبساط !

ـ قال : حالة .. مجرد حالة .

ـ قلت : وما هي الحياة المليئة بالفرحة ؟!

ـ قال : أن ترغب ، وتتمنى ، وتحقق !

ـ قلت : وبعد ذلك ؟!

ـ قال : بعد أن تحقق ما أردت تقف في المنتصف .. تشعر بالانبساط ، ثم اما أن تموت بفرحتك أو تتحول الى أشياء متجمدة .. فارغة !

ـ قلت : اذن .. ليست هناك فرحة دائمة ؟!

ـ قال : لكن طبيعتنا كلنا أن نحطم كل الأشياء التي ننتهي من استعمالها !
ـ قلت : أنت عاقل اذن ؟!
ـ قال : بمنطق الناس عاقل ، وباستنتاجاتهم مهبول !
ـ قلت : وماذا تود أن تكون عند الناس ؟!
ـ قال : أريد أن أكون في منطقهم !
ـ قلت : وهل الانبساط منطق ؟!
ـ قال : أبداً .. انه استنتاج !
ـ قلت : ومتى يمكننا أن نستنتج ؟!
ـ قال : حينما يؤلمنا الآخرون !
ـ قلت : تضحك لهم ؟!
ـ قال : نضحك فقط .. فالناس لا يسمحون لك أن تفسر تصرفاتك .. ان التفسير يضعونه هم !
ـ قلت : وهل عرفت ماذا فسرت أنا قهقهاتك الآن ؟!
ـ قال : نعم .. تفسيرها عندك أنني انسان مبسوط !
ـ قلت : فقط ؟!
ـ قال : هذا كل شيئ .. فعندما تفسر أنني مبسوط .. يعني هذا استنتاج ، والاستنتاج بحث نجري وراءه بكل جهدنا !
ـ قلت : ومتى شعرت بحالة الانبساط هذه ؟!
ـ قال : عندما شعرت بفيضان ألمي !
ـ قلت : « تاني » ؟.. لماذا تربط الألم بالانبساط ؟!
ـ قال : انهما السالب والموجب .. اللذان يحركان أعمال النفس ، ويفعلان التصرف !
ـ قلت : لكنك تجمع بينهما بقوة ؟!
ـ قال : أعطيك مثلاً .. انسان مريض .. دفعوا به الى غرفة العمليات ، وقالوا له : العملية خطيرة وقد تموت ، وعندما يفيق من البنج .. يسمع ان العملية نجحت ، وانه سيخرج بعد عشرة أيام ، فيشعر انه بحاجة الى ضحك متواصل ليعبر عن فرحته .. انه يحس الفرحة فعلاً ، لكنه يموت فجأة وهو يضحك ـ انه يموت بالفرحة !

ـ قال : أن تبقي في المنتصف !
ـ قلت : كيف ؟!
ـ قال : أن تحقق بعض ما تريد ، وأن تبقى في انتظار البعض الآخر !
ـ قلت : أن أفرح وأحزن في آن واحد ؟!
ـ قال : بالضبط !
ـ قلت : وهل يكره أحد الفرحة المستمرة ؟.. لماذا لا أنغمر في البعض الأول الذي تحقق ؟!
ـ قال : الإنسان لا يثبت على شيء واحد ، والحياة نفسها أيضاً لا تبقى لك أشياءك كما هى !
ـ قلت : مثلاً ؟!
ـ قال : مثلاً .. الشيء الذي أردته وتحقق قد متحته كله ، وأغترفته ، وبدا لك فارغاً ، فلا تطيق أن تستمر معه فتخطو الى مأمل جديد .. وفي هذه « النقلة » أنت تغني .. أنت مبسوط .. انك تخاطب من تحب بعبارات لا أروع منها ، فاذا تحقق لك مبتغاك نسيت كلماتك !

ـ قلت : هل جربت ؟!
ـ قال : جاءتني عبارة ذات عام في مظروف أنيق ، وعبق .. وقالت لي العبارة : أنا بنفاق الناس وكذبهم ، ومجاملاتهم .. أريد انساناً يصدقني .. يخاطبني نِداً له .. يكشف لي أخطائي .. يحبني لشخصي .. لحلاوتي .. لتفكيري ، وليس لاسمي أو لقيمتي الاجتماعية .. فهل تعطيني هذا الضائع مني ؟!
ـ قلت : وماذا فعلت ؟
ـ قال : كانت لحظة انبساط لا نهائية .. استجبت .. صدقت .. اندفعت .. أعطيت كل الصدق ، وكل الحب ، وكل الصراحة ، وكل الفرحة ، وكل نفسي الحقيقية .
ـ قلت : وماذا حدث ؟!
ـ قال : استنتاج !.. تحولت الى شيء كالوعاء الذي كان ممتلئاً ، وعندما انتهى المتح والاغتراف منه .. قذف به الى زاوية النسيان الأليمة !
ـ قلت : منطق الحياة !

ـ قال : اسميه استنتاج الاحياء .. فلا يمكن أن يعيش الواحد دون أن ينبسط ، ولكى ينبسط فعلى حساب غيره !

ـ قلت : ولماذا سمحت لنفسك أن تكون وعاء ، وأن يغترف منك الآخرون ؟!

ـ قال : عندما نحب نسقط الاستنتاج .. أي أننا نبادر بجعل السالب والموجب يتلاحمان .. والشحنة لها طاقة ، والطاقة لها نهاية هى الاحتراق ، والحب سالب وموجب ، وشحنة وطاقة ، واحتراق !

ـ قلت : وأنت مبسوط الآن .. لعمق حزنك ؟!

ـ قال : لم يعد هذا سؤال !

ـ قلت : ماذا إذن ؟!

ـ قال : رؤية ـ واضحة .. ألا تراني أقف أمام المرآة ، وأقهقه عالياً .. منتهى الانبساط .. منتهى الرؤية .. استنتاج يعطي الحزن !

ـ قلت : والى متى تبقى في وقفتك هذه ؟!

ـ قال : حتى أستطيع أن أضرب هذه المرآة ، وأكسرها ، وأحطمها ، فلا أرى ، وأبحث من جديد !

ـ قلت : أتمنى لك وقفة قصيرة !

***


واحد صیفی
جدا





واحد صيفي .. جداً

● المكان : على شفة خط الاستواء الساخنة !

● الزمان : برج السرطان !

● الصوت : « مشعور » .. فيه فجوة سقطت منها كلمة ، وضاعت .

● الاضاءة : ضياء القمر قبل بلوغ القمر وسط السماء .

● المناسبة : رشح عرق ، وهروب الى الطائف : (المصيف) :

ـ قلت له : الى أين . ثوبك ينحسر عن ساقيك ، ورأسك بلا غطاء ؟!

ـ قال : الى تلك الصخرة .. أناجي النسمات الرقيقة ، وأجفف عرق جسدي ، وأشعر أنني وحدي !

ـ قلت : ما بالك « تهرول » وكأنك قادم حقاً من خط الاستواء ؟!

ـ قال : ألم يلفحك سموم « تهامة » .. ألم تلتصق ثيابك بجسدك ؟!

ـ قلت : أبدا .. لم يحصل أي شيء من هذا !

ـ قال : غريبة .. تكون عامل تكييف داخلي في جسدك ؟!

ـ قلت : لست باردًا ! أنت انسان مخاطي تجف بسرعة !!

ـ قال : أنا لا أشبه الصمغ ، أو بياض البَيْضْ . أنا عرق يتساقط على أرض الشوارع ، وعلى الأرصفة ، إنسان ، عملي في الشارع .. مصالحي في الشارع . منذ بكور الصباح أخرج من بيتي ، وعلى كتفي منشفة صغيرة ، وألف وأدور.. أبحث عن رزقي .. عن الريالات ، والكسب الحلال ، وعندما أعود الى البيت ظهراً أعصر المنشفة ، وأجففها على الحبل . أما أنت فتخرج من بيتك « المكيف » ، وتخرج من المكتب البارد الى بيتك المكيف ، وفي السيارة « مكيف » أيضاً !

- قلت : حتى هذا فيه تهويل ، فالجو في جدة لم يصل الى هذه الدرجة الحرارية القايظة في داخلك . انني أخرج الى الشارع ، وأشعر بالحرارة حقاً ، ولكن ليست بهذه الصورة !

- قال : لأ .. حرارة . أنا لا أحتمل . في كل صيف أحمل أمتعتي ، وأصحب أهلي وأبنائي الى الطائف ، وأنبسط على مثل هذه الصخرة الحلوة التي تراها .

- قلت : وكيف تقضي الصيف هنا ؟!

- قال : » أشم هوا » .. آكل هوا .. إنت مالك ؟!

- قلت : أقصد ماذا تفعل طيلة الصباح ، وفي العصر ، وفي الليل ؟!

- قال : شوف يا أخ .. يالِتِحْ .. يا فضولي !

- قلت : لأ .. بلاش لماضة !

- قال : يعني أنا اللمض بس ؟ ما يهم .. شوف : في الصباح الباكر .. مع الفجر يعني : اركب سيارتي وأخرج الى طريق الحوية .. الى « الردف » . الى شهار .

- قلت : أبْرَدْ لك !!

- قال : أرْيَح .. بس لو الناس تفهم !

- قلت : وبعدين ؟!

- قال : النسمة حنيّنة ، ورقيقة ، وتقول غزلاً لا أجمل منه في هذه اللحظات من الشروق . دنيا تانية .. حب .. صفاء .. أمل . تحس ان صدرك يتسع .. يتسع حتى يمتلئ بكل الحلوين .. بكل جمال الحياة ، أقضي حوالي ساعة وأكثر ، حتى أشعر بالشمس فأعود الى البيت لأنام ، وقبل انتصاف النهار بساعة أصحو وأخرج الى السوق .

- قلت : وفي العصر ؟!

- قال : العارف لا يعرّف - بتشديد الراء - طبعاً موعد مع البشكة ، وجلوس على كرسي الشريط وأربعة أسود وعبى حجر ، وطق حنك حتى يخيم الظلام .

- قلت : احك لي مثلا من « طق الحنك » الذي يدور فوق كرسي الشريط !

- قال : ما انت عارف ؟!

- قلت : لا .. ما أعرف الا النادر ، والقليل ، أود أن استمع اليك !

- قال : مثلا يا أخ .. يعني أمس كنا نتكلم عن « بيليه » وكيف لعب في المباراة

الأخيرة على كأس العالم .. المباراة اللي أخذت فيها البرازيل الكأس ، بيليه فلتة .

ـ قلت : لكن البعض الذي شاهد المباراة قال ان بيليه لم يلعب جيداً في هذه المباراة ؟!

ـ قال : هيا بلا فلسفة .. دي « رجله » اكلت الكورة !

ـ قلت : هذا رأي البشكة طبعاً ؟!

ـ قال : يعني لازم فيه شواذ علشان يكون فيه موضوع للاستمرار في الكلام .

ـ قلت : وايه كمان ؟

ـ قال : نتكلم يا أخ عن حلقات التليفزيون التمثيلية ، أقصد المسلسلات ، ونحن ننتظر من التليفزيون أن يقدم مسلسلات جديدة ومسلية ، كمان نتساءل : فين البرامج التليفزيونية المحلية ، فين الأفلام الطويلة الجميلة ؟!

ـ قلت : وايه كمان ؟!

ـ قال : نتكلم عن الصحافة ، وحضراتكم اللي بتكتبوا ، آه .. تعال يا أخ .. هو احنا على كيفكم . بالله قول لي : ايه في جرايدكم نستفيد منه ؟!

ـ قلت : تتكلم عن أي جريدة ؟!

ـ قال : ها ؟!.. يا شيخ بلا مجاملة نحن نقرأ واحدة بس و (نجري الاحاطة) ببعض الجرائد !

ـ قلت : بدأنا المجاملات ؟!

ـ قال : لا صحيح .. بس الصحافة يا أخ تنقصها حاجات !

ـ قلت : مثلا ؟!

ـ قال : ان بعض اللي بيكتبوا فيها ما يكتبوا !

ـ قلت : تود أن أتوقف أنا لارضائك !

ـ قال : طيب أوقف يعني ايه .. المهم يكتب واحد أحسن منك .

ـ قلت : طيب .. وفي الليل كيف تقضي وقتك ؟!

ـ قال : أضرب صحن فول ، وبراد شاهي ، وأجلس أتفرج على التليفزيون .. أحيانا تطلع في رأس الشبكة تعمل « سليق » !

ـ قلت : طيب .. هذا كله برنامج عادي ، ايه الجديد .. ايه اللي ممكن تستفيد منه في

الصيف .. في أجازتك .. في الجو المنعش والحلو ؟!

ـ قال : آه .. لو كنت أعرف أركّب ـ بتشديد الكاف ـ شعر !!

ـ قلت : تركّب شعر ؟!

ـ قال : أيوه .. يعني أشعر .. أقول كلام حلو !

ـ قلت : قصدك تصوغ شعر ؟!

ـ قال : هو كده بالنحوي ، أصل عندي كلام كثير بدي أقوله بالشعر !

ـ قلت : تقوله لمين ؟!

ـ قال : أقوله للعيون الحلوة .. للشعر الحرير .. للقامة الممشوقة ، الهيفاء .. للجمال المتحرك على الأرض ..

ـ قلت : أهو إنت بتقول شعر ؟!

ـ قال : روح يا شيخ اتلهي .. ليه أنا بالع صوتي ، والا بالع ذوقي . يعني تبغى تخليني زى بعض « غرض حميد » اللي بيكتبوا أغاني ، وشعر ليس له وزن ، ولا موسيقى ، ولا حتى احساس . أنا صحيح مستوايا على قد حالي بس أفهم يا أخ .. أنا في صدري ناي يغني للجمال وللحب !!

ـ قلت : الله .. وكمان موسيقار !

ـ قال : بس ما هو على طريقة بعض الألحان الروبابيكيا اللي يعملها بعض المطربين ، أو الملحنين بأسلوب « فرّقنا » خمسة بريال !

ـ قلت : انت ليه لسانك طويل ؟!

ـ قال : بالعكس لساني أصغر مقاس في المقاسات المتوفرة في داخل أفواه الناس . بس انت زي الدبوس تشكني بكلمة وما تبغاني أنزْ !

ـ قلت : بلاش المواضيع دي .. قل لي : ايه أحلى وقت ممتع في الطائف ؟!

ـ قال : كأنه يحلم : آه .. أدخل البساتين في الصباح المبكر .. أجلس على رمل أسمر لوحدك ، وحاول إنك ما تتكلم ولا مع نفسك . وفي الليل اندس في الظلام .. في الصحراء ، وفكّر .. التفكير لحظتها ممتع جداً !

ـ قلت : انك خيالي وعاطفي !

ـ قال : لا استطيع أن أبقى طول يومي أضع يدي في جيبي !

ـ قلت : أين تضعها في بعض ساعات يومك ؟

ـ قال : أضعها على حياة جميلة .. أحس انني شرايين تنبض ، وقلب مسموع الخفق !

ـ قلت : وتتكلم كده ليه ؟!

ـ قال : علشان أعلّم امثالك !

ـ قلت : رجعنا للتلبيخ ؟!

ـ قال : يا أخ .. عواطفي ليست شيئاً حراماً ، المهم ان لا تفعلها وانت تترصد الناس ، وتستحي منهم في نفس الوقت !

ـ قلت : ما هي هوايتك ؟!

ـ قال : أرسم بالفحم !

ـ قلت : وليه الفحم بالذات ؟!

ـ قال : لأن الفحم شيء قبيح في رأينا ، ونستعمله في أغراضنا التي نحبها !

ـ قلت : هل تحاول أن تقرأ غير الجرائد ؟!

ـ قال : قلت لك أنا لا أقرأ الجرائد .. أتصفحها بس ، وعلشان انت وغيرك اللي من أصحابي أقرأ لكم !

ـ قلت : لكن هذه استهانة بالآخرين !

ـ قال : يمكن استهانة بكم انتم أيضاً !!

ـ قلت : انت لاذع ، ماذا تقرأ من الكتب ؟!

ـ قال : اقرأ هذه الأيام كتاب « فلسطين جريمة .. ودفاع » من تأليف ارنولد توينبي .

ـ قلت : هل أنت مثقف ؟!

ـ قال : هأ .. هأ .. أنا قاريء ، من فضلك حددوا معاني كلماتكم !

ـ قلت : ما هي مؤهلاتك العلمية ؟!

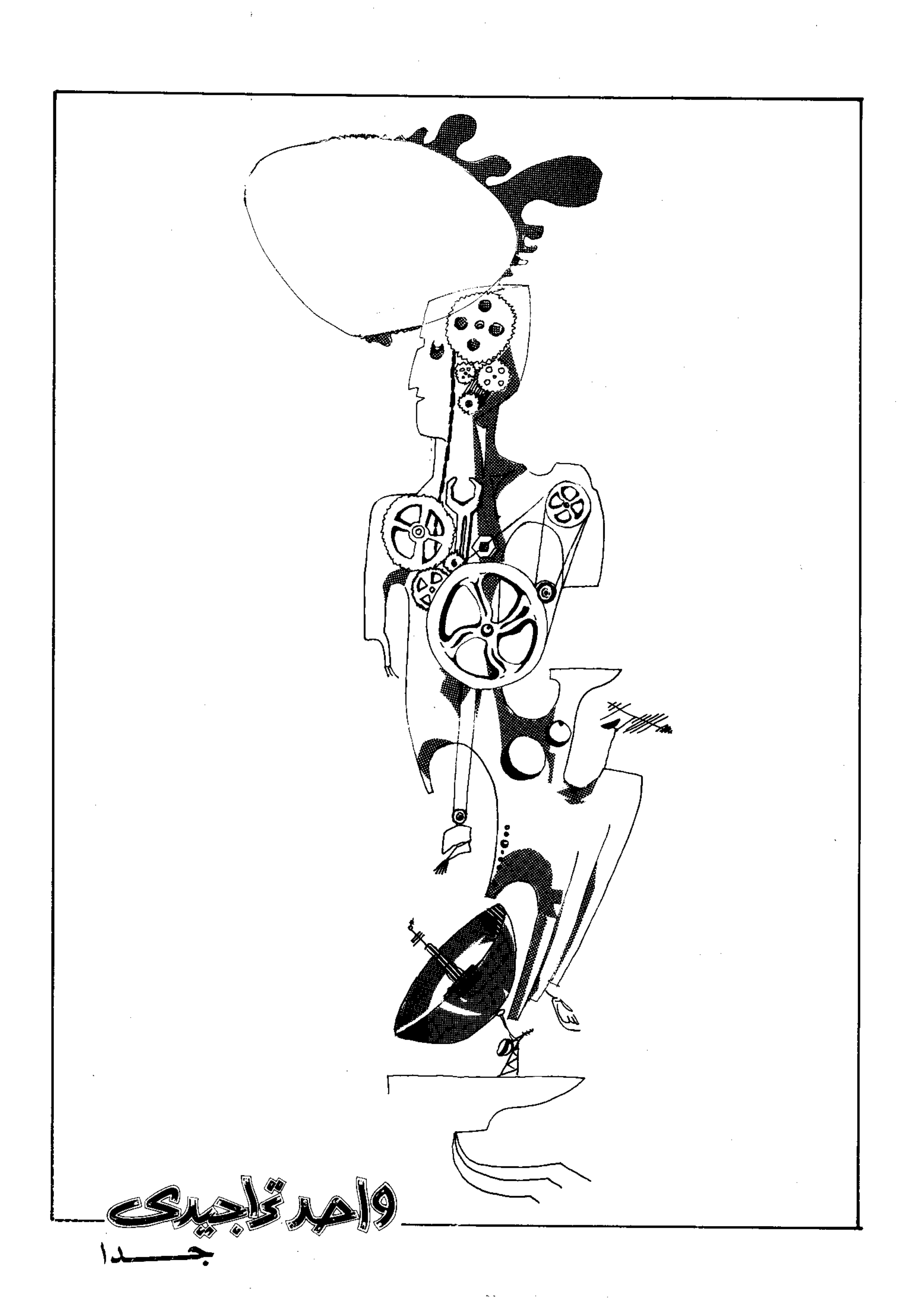
ـ قال : درست في « كُتّاب » ـ بتشديد التاء ـ الخوجه خديجة صيرفية وبعدين في المدرسة الرحمانية ، وبعدين درست في لبنان ، وبعدين درست في أمريكا ، ومبسوط اني الآن تاجر في النهار .. اعقد صفقات تجارية وفي الليل اقرأ ، واشرب شاي وتعميرة جراك ،

واسمع كلام فاضي !

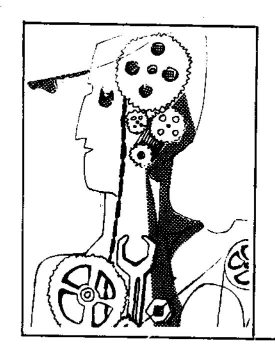
ـ قلت : خلاص « طفشتني » .. نفسك في ايه قبل ما انهي الحديث ؟!

ـ قال : نفسي يخلص الحبر من قلمك ، وتكتب هذا الحديث بقلم روج على طريقة « فرانسوازساجان » قبل ما تتزوج .. علشان يسيح باعتباره مع واحد « صيفي » جدًا ؟!

***


واحد تراجيدى
جـــدا





واحد تراجيدي جـدا

● المكان : يتبدد في الأزمنة .. لا جغرافية له . مكان من الصوت .. لا يحدد مساحة اللغط في الكلام !

● الزمان : امكانية الاصغاء في زحام الشجن المتواصل للتعاطف الإنساني !

● الاضاءة : بمقدار المعرفة للزمان !

● الصوت : ضائع في الوقت !

● الحركة : بطيئة .. مجهولة في غياب المساحة الإنسانية :

ـ قلت له : سمعتك تهمس بكلمة ولكني لم اتلصص على شفتيك .. بل كان صوتك واضحا .. لكن الكلمة منه كانت واهنة ، وخيل الى انك كنت تكسر جغرافية مكانك ، فهل كنت تقول كلاماً مفيداً ؟!

ـ قال : وما الذي يهمك من ذلك ؟!

ـ قلت : انني أبحث فقط !

ـ قال : وما الذي تريد الوصول اليه ؟!

ـ قلت : الى الإنسان فيك .. الى كل ما يكمن في صدرك ويحزنك ، وفي عينيك ويندبها بالدمع !

ـ قال : ستنوء في العودة من اعماقي .. ألم تسمع ان هموم الإنسان في هذا العصر قد فاضت فأغرقت الكرة الأرضية .. فهل تبحث لتضيع في حقائق الإنسان ؟

ـ قلت : انني أبحث لأجد .. لا لأضيع !

ـ قال : اعلم ـ اذن ـ انني عبارة زماني !

ـ قلت : عرفني بزمانك كما تحسه وتفهمه .. فالأرض ليست قاعدة الخوف !

ـ قال : وما هى قاعدة الخوف اذن ؟!

ـ قلت : الشعور بالضياع فوق الأرض !

ـ قال : أليس من حق انسان معاصر لهذا الزمان أن يفزع من شبح الحروب ، ومن تهديد الفقر ، ومن تسلط سفهاء التاريخ الذين يسرقون أراضي الغير ويصادرون ثرواتهم وحرياتهم .. أليس هو الخوف ؟!

ـ قلت : ولماذا تعتبره الخوف ، ولا تسميه التحدي ؟!

ـ قال : ان مصنع الحضارة لم يكن ينتج الرفاهية للإنسانية .. بقدر ما يضاعف انتاج السلاح لقتلها ، ولتدمير حضارتها ، فأين هو التحدي ؟!

ـ قلت : السلاح ليس كل شيء والقتل ليس نهاية الأشياء ، ولكن المطلوب أن يؤمن الإنسان ، ويزداد التصاقاً بمعتقداته ليجد القدرة والارادة ، فالإيمان عظيم اذا شاع في النفس !

ـ قال : أعرف ذلك .. لكن القوة العاقلة مفقودة ، أو لعلها أصبحت فرس الرهان !

ـ قلت : وفي هذا الصراع .. من انت باختصار ؟!

ـ قال : أنا « هَمٌّ » يغني ، وجرح يحيا في النزيف ، انا حيرة مندهشة بكل مخاضات الإنسان ومفاجآت الحياة ، أنا ضحكة عائدة قبل انطلاقها !

ـ قلت : هل هذا أسى .. أم حزن ؟!

ـ قال : وما الفرق ؟!

ـ قلت : فرق البدء ، والمعاناة !

ـ قال : لكنني لا أحمل أصواتاً في داخلي !!

ـ قلت : ماذا تحمل اذن ؟!

ـ قال : الأصوات هى التي تحملني .. فأنا محمول ومشتت !

ـ قلت : وأنت في هذا .. قضية أم حالة ؟!

ـ قال : لم يعد الإنسان قضية .. بكل أسف ، وانما المصالح والأطماع ، والقوة .. هى القضية !

ـ قلت : ولكن الإنسان أيضاً أكبر من أن يكون حالة .. فلابد أن نرتفع بفكرنا لفلسفة واقع الإنسان ، ومعاناته ، وطموحاته وحتى سقطاته !

ـ قال : دعك من سقوط الفكر أو ارتفاعه .. إنما الذي أشيعه في نفسي هو « الشعور » !

ـ قلت : دعك انت من محاولة الاجابة على أسئلة مفقودة .. لكنني أسألك في اطار تعريف الإنسان !

ـ قال : أنت لا تسأل .. فأسئلة الناس اليوم لقطة فلاش في آلة تصوير خالية من الفيلم !

ـ قلت : انني أسألك .. أوافقك على ذلك ، ولكنني أجرحك لتنطق !

ـ قال : تقصد انك تجرح جروحي .. افعل ذلك ، فما الذي بعد الجرح من الم ؟!

ـ قلت : أريد أن أعرفك .. هل تحمل بطاقة هذا العصر ، أم انك هارب من عصرك ؟!

ـ قال : لست استطيع أن أهرب من عصري ، فأنا أنتمي الى نهاية القرن العشرين .. فتأمل ذلك ، وأنت تعرفني بكلمات القشور التي يتعامل بها الناس عاطفياً ، وأنت تنكرني بكلماتي التي منحتها لك من صدري !

ـ قلت : لكني لم أفهم !

ـ قال : ليس ذنبي ، وربما ليست مشكلتك ، ولكن المحور هو رغبتك في تسميتي ، أو تعريف حزني ، ولابد انك تعلم انه من اجل البحث عند الإنسان تضيع منه مفاهيم كثيرة ، وتتعامى عليه مرئيات ، ولا تصلح الفلسفة ، أولا يصلح التفلسف في أشياء عميقة مرتبطة بالشعور ، أو بالخوف من المستقبل !

ـ قلت : ولم انت حزين ، وفي استطاعتك أن تبرر ما تشعر به ، أو على الأقل ليس حزنك ذاتيا ، وانما هو حزن من طبيعة العصر ، أو بأسباب ما يتربص بحضارة الإنسان كما تقول ، وهو وجع انساني يغمر العالم ؟!

ـ قال : ها أنت فهمت شيئاً .. على الأقل بت في رأيك ونظرك انسانا أتعامل بالمبررات ، ثم انني عضو في جسد العالم وانت عضو ، والآخر عضو ، فاذا تألم عضو منا تشكى العالم كله ، أو الإنسان في كل مكان ، وينطبق هذا على العضو عندما يتألم العالم فيشعر هو بالألم !

ـ قلت : انت خيالي في هذا الشعور .. والا فهل تعتقد ان العالم كله يتألم من الم تعذيب معتقل في سجون اسرائيل مثلاً .. الا ترى كيف يستعدون الآن لمهرجانات الفرح في الايحاء بالسلام ؟!

ـ قال : العالم كله ليس نقطة ما .. بل هو كل مكان يلتفت فيه الناس للدفاع عن المظلومين ! اما السلام فليس هو توقيع زعامات !!

ـ قلت : هذه نظرة جديدة ، فلماذا ـ اذن ـ تفتعل الأسى وانت تعلم ان الظلم قصير وان الحق لابد أن يلوح ؟!

ـ قال : صعب أن نفتعل الأسى .. ان اسانا حقيقي .. لكننا لابد أن نكون أقوى من هزائمه !

ـ قلت : ربما أنت تريد أن تحتفظ بشجنك ، والشجن يوقد جذوة التفكير ، ويوقظ الشعور !

ـ قال : ان الإنسان في حزنه يتحمل الوزر وحده !

ـ قلت : والذين تحبهم .. كيف تعاملهم ؟!

ـ قال : أردد ما حفظت « تعيش الذكرى في قلبي ، وأبقى دائماً مرتحلاً » !

ـ قلت : الوقوف .. لا أكثر من « رقعة » في الخطوات ! .. فما هو تعبك ؟!

ـ قال : ومتى يتعب الناس ؟!

ـ قلت : عندما تطول المسافة .

ـ قال : يتعبون عند اليأس !

ـ قلت : وأنت الم تشعر بالتعب ؟!

ـ قال : الأسى .. ليس التعب !

ـ قلت : ما هو اذن ؟!

ـ قال : هو تلك « الرقعة » في الخطوات .. أو هو العبور الاضطراري .. اعبر الحقد ، والنكران ، والفاقة النفسية !

ـ قلت : وكم قطعت ؟!

ـ قال : اني لا التفت خلفي .

ـ قلت : وما مقدار رؤيتك في الامام ؟!

ـ قال : كل الأشواق .. عمق الحنين .. تقدير فعل الخوف لأتجاوزه !

ـ قلت : وتشعر بالحزن بكل هذا الذي قلت ؟!

ـ قال : الحزن كله .. ان اكتشف في النهاية ان عبوري كان كما عجلة العربة التي تورطت في طريق رملي !

ـ قلت : عندئذ لن يكون اليأس نتيجة .. بقدر ما سيكون امتهاناً انسانياً اليماً ! فهل تعني أن يكون ذلك هو منتهى الأسى ؟!

ـ قال : لا بل هو أسى المنتهى !

ـ قلت : حدثني عن ذاتك كإنسان أيضاً .. الا تفكر في حب جديد ؟!

ـ قال : لا أثق في البناء على الأنقاض .. فالحب مرة واحدة تطول وتشع وتتمدد حتى الموت !

ـ قلت : لكن غيرك فعلها ، ونسى الانقاض كلها ؟!

ـ قال : ذلك الغير لم يحب ، وإنما حاول التفاعل بملهاة كوميدية !

ـ قلت : ولكنه يشعر بالسعادة ؟!

ـ قال : السعادة ليست هى انعكاس المرآة ، أو صدى الصوت !

ـ قلت : ما هى اذن ؟!

ـ قال : عافية الروح ، وعافية الضمير ، وعافية المنطق !

ـ قلت : والكلمة من صدر الموجوع ؟!

ـ قال : ربما كانت لا أكثر من زفرة ، وقد تصبح زاوية فقدت الاضاءة !

ـ قلت : ومن أحببت ؟!

ـ قال : « مولاى وروحي في يده .. قد ضيعها سلمت يده » !!

ـ قلت : مقتول أنت اذن في العشق ؟!

ـ قال : الشراع لي .. والقارب ملك غيري !

ـ قلت : والبحر .. من الذي يملكه ؟!

ـ قال : انه من أملاك الملل !

ـ قلت : وقصائدك .. هل غرقت كلها ؟!

ـ قال : انها مازالت تطفو هناك بالقرب من الشط الآخر .. انها كالظل .. كالحلم !

ـ قلت : ونغمك الشجى الذي يرتفع بك من وهدة الأسى والحزن ؟!

ـ قال : نغم يتابع رحلته خلف كل الأشرعة التى ضاعت في زوابع البحر !

ـ قلت : وما هي فلسفتك ؟!

ـ قال : لا تخرج فجأة من مكان شديد الظلمة لتقف تحت قرص الشمس ، ولا تدخل الى مكان مظلم من مكان كثيف الاضاءة .

ـ قلت : وما هو الذي ترى به ؟!

ـ قال : بمقدار ما عرفت !

ـ قلت : ما هو عنوانك الأخير ؟!

ـ قال : نهاية القرن العشرين !!

***

فهرست



إصدارات إدارة النشر بتهامة

سلسلة : الكتاب العربي السعودي

صدر منها :

الكتاب		المؤلف
● الجبل الذي صار سهلا	(نفد)	الأستاذ أحمد قنديل
● من ذكريات مسافر		الأستاذ محمد عمر توفيق
● عهد الصبا في البادية	(قصة مترجمة)	الأستاذ عزيز ضياء
● التنمية قضية	(نفد)	الدكتور محمود محمد سفر
● قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا	(نفد)	الدكتور سليمان بن محمد الغنام
● الظمأ	(مجموعة قصصية)	الأستاذ عبد الله جفري
● الدوامة	(قصة طويلة)	الدكتور عصام خوقير
● غداً أنسى	(قصة طويلة) (نفد)	الدكتورة أمل محمد شطا
● موضوعات اقتصادية معاصرة		الدكتور علي بن طلال الجهني
● أزمة الطاقة إلى أين ؟		الدكتور عبد العزيز حسين الصويغ
● نحو تربية إسلامية		الأستاذ أحمد محمد جمال
● إلى ابنتي شيرين		الأستاذ حمزة شحاتة
● رفات عقل		الأستاذ حمزة شحاتة
● شرح قصيدة البردة		الدكتور محمود حسن زيني
● عواطف إنسانية	(ديوان شعر) (نفد)	الدكتورة مريم البغدادي
● تاريخ عمارة المسجد الحرام	(نفد)	الشيخ حسين باسلامة
● وقفة		الدكتور عبد الله حسين باسلامة
● خالتي كدرجان	(مجموعة قصصية) (نفد)	الأستاذ أحمد السباعي
● أفكار بلا زمن		الأستاذ عبد الله الحصين
● كتاب في علم إدارة الأفراد		الأستاذ عبدالوهاب عبد الواسع
● الابحار في ليل الشجن	(ديوان شعر)	الأستاذ محمد الفهد العيسى
● طه حسين والشيخان		الأستاذ محمد عمر توفيق
● التنمية وجها لوجه		الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي
● الحضارة تحد	(نفد)	الدكتور محمود محمد سفر
● عبير الذكريات	(ديوان شعر)	الأستاذ طاهر زمخشري
● لحظة ضعف	(قصة طويلة)	الأستاذ فؤاد صادق مفتي
● الرجولة عماد الخلق الفاضل		الأستاذ حمزة شحاتة
● ثمرات قلم		الأستاذ محمد حسين زيدان
● بائع التبغ	(مجموعة قصصية مترجمة)	الأستاذ حمزة بوقري
● أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة	(تراجم)	الأستاذ محمد على مغربي
● النجم الفريد	(مجموعة قصصية مترجمة)	الأستاذ عزيز ضياء

العنوان		المؤلف
مكانك تحمدي		الأستاذ أحمد محمد جمال
قال وقلت		الأستاذ أحمد السباعي
نبض ...		الأستاذ عبد الله جفري
نبت الأرض		الدكتورة فاتنة أمين شاكر
السعد وعد	(مسرحية)	الدكتور عصام خوقير
قصص من سومرست موم	(مجموعة قصص مترجمة)	الأستاذ عزيز ضياء
عن هذا وذاك		الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي
الأصداف	(ديوان شعر)	الأستاذ أحمد قنديل
الأمثال الشعبية في مدن الحجاز		الأستاذ أحمد السباعي
أفكار تربوية		الدكتور ابراهيم عباس نتو
فلسفة المجانين		الأستاذ سعد البواردي
خدعتني بحبها	(مجموعة قصصية)	الأستاذ عبد الله بوقس
نقر العصافير	(ديوان شعر)	الأستاذ أحمد قنديل
التاريخ العربي وبدايته	(الطبعة الثانية)	الأستاذ أمين مدني
المجاز بين اليمامة والحجاز	(الطبعة الثانية)	الأستاذ عبد الله بن خميس
تاريخ الكعبة المعظمة	(الطبعة الثانية)	الشيخ حسين عبد الله باسلامة
خواطر جريئة		الأستاذ حسن بن عبد الله آل الشيخ
السنيورة	(قصة طويلة)	الدكتور عصام خوقير
رسائل إلى ابن بطوطة	(ديوان شعر)	الأستاذ عبد الله عبد الوهاب العباسي
جسور إلى القمة	(تراجم)	الأستاذ عزيز ضياء
تأملات في دروب الحق والباطل		الشيخ عبد الله عبد الغني خياط
الحمى	(ديوان شعر)	الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي
قضايا ومشكلات لغوية		الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار
ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة		الأستاذ محمد علي مغربي
زبد الخير		الأستاذ عبد العزيز الرفاعي
الشوق إليك	(مسرحية شعرية)	الأستاذ حسين عبد الله سراج
كلمة ونصف		الأستاذ محمد حسين زيدان
شيء من الحصاد		الأستاذ حامد حسن مطاوع
أصداء قلم		الأستاذ محمود عارف
قضايا سياسية معاصرة		الدكتور فؤاد عبدالسلام الفارسي
نشأة وتطور الإذاعة في المجتمع السعودي		الأستاذ بدر أحمد كريم
الإعلام موقف		الدكتور محمود محمد سفر
الجنس الناعم في ظل الإسلام		الشيخ سعيد عبدالعزيز الجندول
ألحان مغترب	(ديوان شعر)	الأستاذ طاهر زمخشري
غرام ولادة	(مسرحية شعرية)	الأستاذ حسين عبد الله سراج
سير وتراجم		الأستاذ عمر عبدالجبار
الموزون والمخزون		الشيخ أبو تراب الظاهري
لجام الأقلام		الشيخ أبو تراب الظاهري

- نقاد من الغرب — الأستاذ عبد الله عبد الوهاب العباسي
- حوار.. في الحزن الدافيء — الأستاذ عبدالله عبدالرحمن جفري
- أيامي — الأستاذ أحمد السباعي

تحت الطبع :

- حتى لا نفقد الذاكرة — الأستاذ سعد البواردي
- أحاديث وقضايا إنسانية — الدكتور عبد الرحمن بن حسن النفيسة
- تاريخ القضاء في المملكة العربية السعودية — الأستاذ حسن بن عبد الله آل الشيخ
- معجم اللهجة المحلية في منطقة جازان — الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي
- الإسلام في نظر أعلام الغرب — الشيخ حسين عبد الله باسلامة
- قصص من طاغور (ترجمة) — الأستاذ عزيز ضياء
- ماما زبيدة (مجموعة قصصية) — الأستاذ عزيز ضياء
- مدارسنا والتربية — الأستاذ عبد الوهاب عبد الواسع
- دوائر في دفتر الزمن (مجموعة قصصية) — الأستاذ سباعي عثمان
- من حديث الكتب (ثلاثة أجزاء) — الأستاذ محمد سعيد العامودي
- عام ١٩٨٤ لجورج أورويل (قصة مترجمة) — الأستاذ عزيز ضياء
- مشواري مع الكلمة — الأستاذ حسن عبد الحي قزاز
- وجيز النقد عند العرب — الأستاذ عبد الله عبد الوهاب العباسي
- هكذا علمني ورد زورث — الأستاذ أبوعبد الرحمن بن عقيل الظاهري
- وحي الصحراء — الأستاذ عبد الله بلخير / الأستاذ محمد سعيد عبدالمقصود خوجه
- سباعيات — الأستاذ احمد السباعي
- خلافة أبي بكر الصديق — الشيخ حسين عبد الله باسلامة
- الطاقة نظرة شاملة — الدكتور عبدالهادي طاهر
- طيور الأبابيل — الأستاذ إبراهيم هاشم فلالي
- عمربن أبي ربيعة — الأستاذ إبراهيم هاشم فلالي
- رجالات الحجاز — الأستاذ إبراهيم هاشم فلالي
- لا رق في القرآن — الأستاذ ابراهيم هاشم فلالي
- من مقالات عبد الله عبد الجبار — الأستاذ عبدالله عبدالجبار
- الجبل الذي صار سهلا — الطبعة الثانية — الأستاذ أحمد قنديل
- التنمية قضية — الطبعة الثانية — الدكتور محمود محمد سفر
- قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا — الطبعة الثانية — الدكتور سليمان بن محمد الغنام
- غداً أنسى (قصة طويلة) — الطبعة الثانية — الدكتورة أمل محمد شطا
- التعليم في المملكة العربية السعودية — الأستاذ عبد الوهاب عبد الواسع
- تاريخ عمارة المسجد الحرام — الطبعة الثانية — الشيخ حسين باسلامة
- خالتي كدرجان (مجموعة قصصية) — الطبعة الثانية — الأستاذ أحمد السباعي
- الحضارة تحد — الطبعة الثانية — الدكتور محمود محمد سفر
- البترول والمستقبل العربي — الأستاذ عبدالعزيز مؤمنة
- البحث — الأستاذ محمد علي مغربي

سلسلة :

الكتاب الجامعي

صدر منها :

الكتاب	المؤلف
• الإدارة : دراسة تحليلية للوظائف والقرارات الإدارية	الدكتور مدني عبد القادر علاقي
• الجراحة المتقدمة في سرطان الرأس والعنق (باللغة الإنجليزية)	الدكتور فؤاد زهران الدكتور عدنان جمجوم الدكتور محمد عيد
• النمو من الطفولة إلى المراهقة	الدكتور محمد جميل منصور الدكتور فاروق سيد عبد السلام
• الحضارة الإسلامية في صقلية وجنوب إيطاليا	الدكتور عبد المنعم رسلان
• النفط العربي وصناعة تكريره	الدكتور أحمد رمضان شقليه
• الملامح الجغرافية لدروب الحجيج	الأستاذ سيد عبد المجيد بكر
• علاقة الآباء بالأبناء (دراسة فقهية)	الدكتورة سعاد إبراهيم صالح
• مباديء القانون لرجال الأعمال	الدكتور محمد إبراهيم أبو العينين
• الاتجاهات العددية والنوعية للدوريات السعودية	الأستاذ هاشم عبده هاشم
• قراءات في مشكلات الطفولة	الدكتور محمد جميل منصور
• شعراء التروبادور (ترجمة)	الدكتورة مريم البغدادي
• الفكر التربوي في رعاية الموهوبين	الدكتور لطفي بركات أحمد
• النظرية النسبية	الدكتور عبد الرحمن فكري الدكتور محمد عبد الهادي كامل
• أمراض الأذن والأنف والحنجرة (باللغة الإنجليزية)	الدكتور أمين عبد الله سراج الدكتور سراج مصطفى زقزوق
• المدخل في دراسة الأدب	الدكتورة مريم البغدادي
• الرعاية التربوية للمكفوفين	الدكتور لطفي بركات أحمد
• أضواء على نظام الأسرة في الإسلام	الدكتورة سعاد إبراهيم صالح

تحت الطبع :

الكتاب	المؤلف
• الأدب المقارن (دراسة في العلاقة بين الأدب العربي والآداب الأوروبية)	الدكتور عبد الوهاب على الحكمى
• هندسة النظام الكوني في القرآن	الدكتور عبد العليم عبد الرحمن خضر
• تاريخ طب الأطفال عند العرب	الدكتور محمود الحاج قاسم



صدر منها :

• حارس الفندق القديم	(مجموعة قصصية)	الأستاذ صالح إبراهيم
• دراسة نقدية لفكر زكي مبارك	(باللغة الإنجليزية)	الدكتور محمود الشهابي
• التخلف الاملائي		الأستاذة نوال عبد المنعم قاضي
• ملخص خطة التنمية الثالثة للمملكة العربية السعودية		إعداد إدارة النشر
• ملخص خطة التنمية الثالثة للمملكة العربية السعودية (باللغة الإنجليزية)		
• تسالي	(من الشعر الشعبي) (الطبعة الثانية)	الدكتور حسن يوسف نصيف
• كتاب مجلة الأحكام الشرعية على مذهب الإمام أحمد بن حنبل الشيباني	(دراسة وتحقيق)	الشيخ أحمد بن عبد الله القاري الدكتور عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان الدكتور محمد إبراهيم أحمد علي
• النفس الإنسانية في القرآن الكريم		الأستاذ إبراهيم سرسيق
• خطوط وكلمات	(رسوم كاريكاتورية) نفد	الأستاذ علي الخرجي
• واقع التعليم في المملكة العربية السعودية	(باللغة الإنجليزية)	الدكتور عبد الله محمد الزيد
• صحة العائلة في بلد عربي متطور	(باللغة الإنجليزية)	الدكتور زهير أحمد السباعي
• مساء يوم في آذار	(مجموعة قصصية)	الأستاذ محمد منصور الشقحاء
• النبش في جرح قديم	(مجموعة قصصية)	الأستاذ السيد عبد الرؤوف
• الرياضة عند العرب في الجاهلية وصدر الإسلام		الدكتور محمد أمين ساعاتي
• الاستراتيجية النفطية ودول الأوبك		الأستاذ أحمد محمد طاشكندي
• رعب على ضفاف بحيرة جنيف		الأستاذ شكيب الأموي
• العقل لا يكفي	(مجموعة قصصية)	الأستاذ محمد على الشيخ
• أيام مبعثرة	(مجموعة قصصية)	الأستاذ فؤاد عنقاوي
• مواسم الشمس المقبلة	(مجموعة قصصية)	الأستاذ محمد علي قدس
• ماذا تعرف عن الأمراض ؟		الدكتور إسماعيل الهلباوي
• جهاز الكلية الصناعية		الدكتور عبد الوهاب عبد الرحمن مظهر
• القرآن .. وبناء الإنسان		الأستاذ صلاح البكري
• اعترافات أدبائنا في سيرهم الذاتية		الأستاذ علي عبده بركات
• الطب النفسي معناه وأبعاده		الدكتور محمد محمد خليل
• الزمن الذي مضى	(مجموعة قصصية)	الأستاذ صالح إبراهيم
• مجموعة الخضراء	(دواوين شعر)	الأستاذ طاهر زمخشري
• خطوط وكلمات	(رسوم كاريكاتورية) (الطبعة الثانية)	الأستاذ علي الخرجي
• ديوان السلطانيين		**الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي**
• الإمكانات النووية للعرب وإسرائيل		الدكتور صدقة يحيى مستعجل

تحت الطبع :

- قراءات في التربية وعلم النفس
  الأستاذ فخري حسين عزّي
  الدكتور لطفي بركات أحمد
- الموت والابتسامة (مجموعة قصصية)
  الأستاذ عبد الله أحمد باقازي
- رحلة الربيع
  الأستاذ فؤاد شاكر
- الوحدة الموضوعية في سورة يوسف
  الدكتور حسن محمد باجودة
- الأسر القرشية .. أعيان مكة المحمية
  الأستاذ أبو هشام عبد الله عباس بن صديق
- البحث عن بداية (مجموعة قصصية)
  الأستاذ جواد صيداوي
- وللخوف عيون (مجموعة قصصية)
  الأستاذ أحمد شريف الرفاعي
- الحجاز واليمن في العصر الأيوبي
  الدكتور جميل حرب محمود حسين
- ملامح وأفكار مضيئة
  الاستاذ أحمد شريف الرفاعي
- إليها (ديوان شعر)
  الأستاذ حسين عبد الله سراج

رسائل جامعية

صدر منها :

- صناعة النقل البحري والتنمية في المملكة العربية السعودية (باللغة الإنجليزية)
  الدكتور بهاء حسين عزي
- الخراسانيون ودورهم السياسي
  الأستاذة ثريا حافظ عرفة
- الملك عبد العزيز ومؤتمر الكويت
  الأستاذة موضي بنت منصور ابن عبدالعزيز آل سعود
- العثمانيون والإمام القاسم بن على في اليمن
  الأستاذة أميرة على المداح
- القصة في أدب الجاحظ
  الأستاذ عبد الله باقازي
- تاريخ عمارة الحرم المكي الشريف
  الأستاذة فوزية حسين مطر
- النظرية التربوية الإسلامية
  الأستاذة آمال حمزة المرزوقي
- نظام الحسبة في العراق .. حتى عصر المأمون
  الأستاذ رشاد عباس معتوق
- المقصد العلي في زوائد أبي يعلي الموصلي (تحقيق ودراسة)
  دكتور نايف بن هاشم الدعيس
- الجانب التطبيقي في التربية الإسلامية
  الأستاذة ليلى عبد الرشيد حسن عطار

تحت الطبع :

- الدولة العثمانية وغربي الجزيرة العربية
  الأستاذ نبيل عبد الحى رضوان
- دور المياه الجوفية في مشروعات الري والصرف بمنطقة الإحساء بالمملكة العربية السعودية (باللغة الإنجليزية)
  الدكتور فايز عبد الحميد طيب

- دراسة اثنوغرافية لمنطقة الإحساء (باللغة الإنجليزية) — الدكتور فايز عبد الحميد طيب
- اساليب التربية المعاصرة في ضوء الإسلام — الأستاذة فتحية عمر رفاعي الحلواني
- افتراءات فيليب حتى .. وبروكلمان على التاريخ الإسلامي . . — الأستاذ عبد الكريم علي باز
- الطلب على الإسكان من حيث الاستهلاك والاستثمار — الدكتور فاروق صالح الخطيب
- الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المدينة المنورة في صدر الإسلام — الأستاذة نورة عبدالملك آل الشيخ

كتاب الناشئين

صدر منها :

سلسلة : وطني الحبيب

- جدة القديمة — الأستاذ يعقوب محمد اسحاق
- جدة الحديثة — الأستاذ يعقوب محمد اسحاق
- الديك المغرور ،والفلاح وحماره — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- الطاقية العجيبة — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- الزهرة والفراشة — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- سلمان وسليمان — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- زهور البابونج — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- اليد السفلى — الدكتور محمد عبده يماني / إعداد الأستاذ يعقوب محمد اسحاق

تحت الطبع :

- حكايات للأطفال — الأستاذ عزيز ضياء
- سنبلة القمح وشجرة الزيتون — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- نظيمة وغنيمة — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي

كتاب للأطفال

TIHAMA

صدر منها :

• لكل حيوان قصة — للأستاذ يعقوب محمد اسحاق

• القرد	• الأسد	• الغزال
• الضب	• البغل	• الحمار الوحشي
• الثعلب	• الفأر	• الببغاء
• الكلب	• الحمار الأهلي	• الوعل
• الغراب	• الفراشة	• الجاموس
• الأرنب	• الخروف	• الحمامة
• السلحفاء	• الفرس	• الضفدع
• الجمل	• الدجاج	• الدب
• الذئب	• البط	• الخرتيت

• الصرصور والنملة	الأستاذ عمار بلغيث
• السمكات الثلاث	الأستاذ عمار بلغيث
• النخلة الطيبة	الأستاذ اسماعيل دياب
• الكتكوت المتشرد	الأستاذ عمار بلغيث
• المظهر الخادع	الأستاذ عمار بلغيث
• بطوط وكتكت	الأستاذ اسماعيل ديّاب

سلسلة حكايات كليلة ودمنه — إعداد : الأستاذ يعقوب محمد اسحاق

• عندما أصبح القرد نجارا
• الغراب يهزم الثعبان

تحت الطبع :

سلسلة حكايات ألف ليلة وليلة — الأستاذ يعقوب محمد اسحاق

كتب صدرت باللغة الانجليزية

Books Published in English By Tihama

- Surgery of Advanced Cancer of Head and Neck.
  By F. M. Zahran
  A.M.R. Jamjoom
  M.D. EED

- Zaki Mubarak: A Critical Study.
  By Dr. Mahmud Al Shihabi

- Summary of Saudi Arabian
  Third Five year Development Plan

- Education in Saudi Arabia, A Model with Difference
  By Dr. Abdulla Mohamed Al-Zaid.

- The Health of the Family in A Changing Arabia
  By Dr. Zohair A. Sebai

- Diseases of Ear, Nose and Throat
  Dr. Amin A. Siraj
  Dr. Siraj A. Zakzouk

- Shipping and Development in Saudi Arabia
  By Dr. Baha Bin Hussein Azzee

- Tihama Economic Directory.
- Riyadh Citiguide.
- Banking and Investment in Saudi Arabia.
- A Guide to Hotels in Saudi Arabia.
- Who's Who in Saudi Arabia